أخصائي تحنيط

حسام المغازي – خالد إسماعيل

أخصائي تحنيط / رواية
حسام المغازي – خالد إسماعيل
الطبعة الأولى ، 2009

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج
هاتف : 0224405047
موبايل : 0129251592 – 0182363035
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام :
يحيى هاشم
تصميم الغلاف :
حاتم عرفة
تدقيق لغوي :
حسام مصطفى إبراهيم
رقم الإيداع : 2008/19879
I.S.B.N:978- 977- 6297- 47- 0

أخصائي تحنيط

رواية

1×2

حسام المغازي

خالد إسماعيل

الطبعة الأولى

2009



دار اكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

نهدي هذا العمل لكل من له فضل علينا .

إلى والدينا الأستاذ : إسماعيل عبد الله ، والأستاذ : عبد المنعم المغازي ، ووالدتينا.

لتشجيعهم .. فهذا جني ثمرتهم، وبضاعتهم ردت إليهم.

وندعوا لهم بأن يزيدهم الله تعالى بسطة في العمر، والصحة.

وإلى زوجتينا اللتين صبرتا، واحتسبتا .

وقتاً نقصناه من حقهما عن سعادة منهما، ورضا ..

فجزاهما الله عنا خيراً.

حسام و خالد



1

في مصر

الموافقة الأمنية

تتخبط قدماه، ترتعش يداه، جبينه يفرز عرقًا ... أنفاسه تتسارع، يقف ليأخذ نفسًا عميقًا ثم يخرجه ... يقرأ قرآنًا ... يدعو {بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم}.

وصل الاستقبال وأخبرهم باسمه، وأن لديه موعدًا في العاشرة، صحبه أحدهم إلى إحدى الغرف فظل جالسًا في مكانه لا يتحرك، شعر كأنه في حبسٍ انفرادي، هل يقوم ويطرق الباب؟ برفق طبعًا لعلهم نسوه، فقد مرت ساعة على الأقل!

نظر في ساعته فوجدها العاشرة والربع ... ربع ساعة فقط هي التي مرت!... يا الله إن الأوقات الجميلة تمر سريعًا فعلاً.

ظل جالسًا في مكانه بلا حراك ... فكر في فتح النافذة ولكنه توقف وقال في نفسه إن من لا يستطيع أن يطرق الباب برفق لا يستطيع فعل شيء آخر، أخذ الوقت يمر بطيئًا لا يتحرك، مثله تمامًا، لا يتحرك من على الكرسي، وبعد ساعتين جاءه أحدهم مخبرًا إياه أن الباشا في انتظاره.

هب واقفًا فأصابه دوار خفيف وعاودته الرعشة التي كانت قد بدأت تهدأ، وحينما دخل على الباشا سأله الضابط الشاب عن اسمه واسم أبيه وأمه وإخوته وأعمامه وأخواله وخالاته وأصدقائه، وبعد أخذ جميع الأسماء تحدث معه وطلب منه التعاون لمصلحة البلد حين يُطلب منه ذلك، وأخبره أنه سيعود إليهم مرة أخرى بعد انتهاء بعثته، ليحصل على الموافقة على تعيينه بالجامعة، فلابد أن يضع ذلك في حسبانه جيدًا، فأجابه "سامح" أنه سيفعل كل ما بوسعه لخدمة بلده وأنه لن يتأخر عما يُطلب منه... هز الباشا رأسه بالموافقة وأمره بالانصراف، وعند خروجه من الباب قال له الضابط الشاب: سلم لي على أستراليا، وحينما ابتعد عن المبنى نظر خلفه، ثم تنفس الصعداء ... كان ينتظر هذه اللحظة وقد وفقه الله وحصل على ما يريد ...كان هذا "سامح" قطب المنسي" الحاصل على الماجستير في علم الحيوان من كلية العلوم جامعة المنصورة، والمرشح لبعثة تعليمية للخارج، لنيل شهادة الدكتوراه، وكانت هذه المقابلة للحصول علي الموافقة الأمنية من جهاز مباحث أمن الدولة.

على قهوة الفيشاوي

لا أدري هل أحسنت الاختيار أم أن الاختيار هو الذي لم يحسن اختياري؟!... بهذه الجملة بدأ "مصطفى" حديثه مع أصدقائه "عصام" و"عماد" و"حازم".. وقد أصابته نوبة اليأس التي تعتريه كلما لم يفلح في الترشح لوظيفة تناسب مؤهله.

أكمل "عماد" كلام "مصطفى": هيا أكمل كلامك المأثور التاريخي: لا أدري هل أقول ليتني لم أدخل هذه الكلية التي لا يجد الحاصل عليها أي عمل؟! أكمل "عصام" كلام "عماد": خريجو الكليات الأخرى أمامهم أكثر من مجال للعمل ككلية التجارة أو الآداب أو التربية، أما هذه الكلية فلا مجال أمامها.. قاطعهم "حازم": كفاكما استهزاءً بالرجل، يكفيه ما هو فيه.. أنا أرى يا مصطفى أن تعمل بنصيحة والدك ويقوم بتعيينك بالثانوية العامة، ثم بعد ذلك سيأتي الفرج، لعلك تستطيع أن تعادل شهادتك أو ما شابه، ولكنها خطوة على الطريق.

مصطفى إسماعيل حنفي، ليسانس آثار – جامعة القاهرة، من أسرة غنية بالوراثة، والده المهندس إسماعيل حنفي كبير مهندسي وزارة الإسكان.. وله اتصالات وعلاقات عديدة ولطالما قام بتوظيف الكثير من معارفه، ومع ذلك فلم يستطع

توظيف ابنه، والسبب: المؤهل الحاصل عليــه، "ليــسانس آثار".. كان رد "مصطفى" على "حازم" أنه لن يقبل تعيينــه بالثانوية العامة، وإن كان سيعمل في مجال غير مجالــه، فلــن يكون هنا في مصر بل سيحاول السفر للخارج، وليس لدولة عربية، بل أوروبية.

هل تعلمون من اتصل بي اليوم؟ كمال أبو عماشة.

قالوا: هل ما زال يتذكرنا؟ إنه لم يفعلها منذ سنة، قــال: إنه اتصل بي ليطمئن على أحوالي واتفقت معه أن يتحــدث معي على الإنترنت يوم الأحد القادم، وسأستشيره في السفر إلى ألمانيا.

على بوابة الجامعة

على بوابة الجامعة أخذ يجول بخياله ... تذكر يوم حصوله على الثانوية العامة، كان حزينًا تعسًا لأن مجموعة لم يدخلــه كلية الطب ولا الصيدلة بل كلية العلوم، تبًا لنظــام الثانويــة العامة الذي لا يفرز إلا مجموعة من الحفظة، ماذا يفعــل هــو بكلية العلوم؟ تذكر وقتها والده عم قطب الذي يعمل بالسكة الحديد ويخرج من بيته كل يوم في السادسة صباحًا ويصطحب معه ابنه "سامح" الطالب الجامعي، ومع أن "ســامح" لديــه

اشتراك مجاني بالسكة الحديد إلا أن الأب دائمًا ما كان يشجع أبناءه قائلاً: إن الله تعالى يبارك في البكور، وكــان "ســامح" يخرج معه يوميًا و لم يكن يضيق بذلك أبدًا، وإنما كان يــضيق بشقاء والده الكبير مقابل أجر زهيد ولكن هذا الأجر هو الذي رباه وإخوته كما كان يقول والده دائمًا، و"سامح" له أختــان بالفرقة الثانية والثالثة بكلية الآداب وأخوه الــصغير "محمــد" بالتعليم الابتدائي، وأمه أغلى إنسانة عنده في الدنيا، والتي تعلم ما يريده قبل أن ينطق به، بالطبع هــي و"شــاكر" صــديق عمره... وكان عم قطب دائمًا ما يقول لــه: {وعــسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهــو شــر لكم} يا بني الله يعلم أين الخير ... وفعلاً فإن كلية العلوم التي لم يكن يريدها، تفوق فيها وحصل على الماجستير وبعثه لنيــل شهادة الدكتوراه، فظل شعاره دائمًا (الله يعلم أين الخير).

حي الجمالية

يقيم "مصطفى" وأسرته في شقة كــبيرة بحــي الجماليــة بالأزهر، والذي تشعر وأنت تسير فيه بأنــك في اســتوديو لتصوير مسلسل تاريخي، فحينما تكون متجهًــا للجماليــة

مرورًا بالعتبة تشعر أن الزحام سوف يصيبك بالهستيريا، وأن صوت الباعة سيصيبك بالصمم، وأن سيارات الميكروباص سوف تدهسك بعجلاتها، وحينما تترك كل هذا وتدخل إلى المنطقة الأزهرية فالجمالية فمسجد الحسين (رضي الله عنه) تبدأ مرحلة أخرى من الصخب والزحام الشديدين، وهذه المنطقة منطقة أثرية يختلط فيها كل شيء، رائحة العطور بروائح الكوارع، رائحة البخور برائحة الشواء، الباعة المتجولون بعربات خشبية قديمة جدًا مع المحلات المبنية على أحدث طراز، وتجد محلات خان الخليلي والسائحين أمامها تختلط في وجوههم أحاسيس الانبهار الشديد مع الحرص الأشد، نعم الحرص الشديد من المصريين هنا، لأنهم يشعرون أنهم يريدون استغلالهم، فهو لم ينس السائح الذي كتب مقالة على الإنترنت يمدح فيها آثار مصر، وينتقد بشدة سلوك المصريين في استغلال السائحين، كصديقه الذي اشترى كيلو اللحم بمائة دولار وكانت تباع وقتها بثلاثين جنيهًا، كل هذا كان يجول بخاطره وهو يمر بمنطقة الجمالية مارًا بتجار أدوات الحلاقة والكوافيرات وتجار الورق والكتب القديمة والمحلات المختلفة إلى أن يصل شقتهم في آخر الجمالية.

الدراسات العليا

الأستاذ "سعيد ثابت" موظف بإدارة الجامعة وهو الذي لديه أوراق "سامح" ... طيب القلب لكنه روتيني لأبعد حد ويفسر ذلك بأنه ذات يوم قدم خدمة لأحدهم، فتسببت في تأخير ترقيته ... فهل هذا ما حدث بالفعل أم أنها طبيعته التي تتلذذ بالروتين؟... حينما دخل عليه "سامح" قام من على مكتبه مسرورًا قائلاً له: أبشر يا "سامح" لقد أنهيت لك الموافقة الأمنية فلقد تحدثت إليّ العقيد "كمال" قائد الحرس بالجامعة وها هي الموافقة الأمنية قد وصلت ... تعجب "سامح" كيف وصلت بهذه السرعة! قال الأستاذ "سعيد": عبر جهاز الفاكس القابع هناك ... فتح ملفًا وأخرج منه ورقة قرأها "لا مانع لدينا من سفر السيد "سامح قطب المنسي" للخارج لنيل شهادة الدكتوراه مع إحاطتنا علمًا باسم البلد والجامعة التي سوف يسافر إليها" ... بالطبع لم يسمع "سامح" في أمن الدولة عن العقيد "كمال" ولكنه أظهر امتنانًا مصطنعًا للأستاذ "سعيد" وسأله: ولكن إلى أين السفر بإذن الله؟... قال الأستاذ "سعيد": لا أدري بعد ... رد "سامح": أنا أعلم، إلى أستراليا... عجبًا للضابط الذي يقول لي سلم لي على أستراليا ثم يستعلم خطاب الموافقة الأمنية عن الجهة التي سيسافر إليها، استفسر "سامح" من الأستاذ "سعيد" عن باقي الأوراق المطلوبة وشكره.

في البيت

قالت له: لا تحزن يا مصطفى، إن الله تعالى يجعل بعد كل هم فرجًا، وبعد العسر يسرًا، اعمل ما عليك والباقي عليه سبحانه، كانت هذه والدته المدرسة بالمرحلة الإعدادية وبالطبع كانت تعلم بخيبة أمله في عدم قبوله بالخارجية التي أعلنت عن حاجتها لبعض الوظائف، وقد أفهمه أبوه مرارًا أن الخارجية لو كانت تطلب مؤهله فسوف يتم تعيينه بإذن الله، وإن لم تطلب فلن يستطيع والده أن يساعده في شيء، وبعد أن رد على والدته بأنه لا يريد تناول طعام العشاء وأنه سوف يدخل لينام، دخل غرفته وألقى بنفسه على فراشه محاولاً النوم، لكنه لم يستطع، وشعر كأن شيئًا ما يطبق على صدره بعد أن أطال التفكير، العمر يجري به، يريد الخطبة والزواج، لكن كيف له هذا وهو بدون عمل؟ هو يعلم جيدًا أن أباه سوف يساعده في مصاريف زواجه، ولكن حينما يتقدم لخطبة "نجاة" ماذا يقول لأهلها؟ هل سيقول لهم أن أباه سوف ينفق عليه؟ وماذا لو حدث لوالده مكروه لا قدر الله؟ ثم إن له أخًا غيره ثم....... تساؤلات عديدة أخذت تطبق

علي رقبته فقام من فراشه لا يستطيع التنفس حتى أنه جرى تجاه نافذة غرفته واضعًا أنفه بين فتحاتها لعله يستطيع التنفس، أخذ يلتقط أنفاسه وخاطب نفسه بحزم قائلا: لا، لا يهزمنك شيطانك، تذكر قول الله تعالى:

{ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (٢٦٨)} البقرة.

قام وتوضأ وتذكر قول شيخ المسجد في خطبة الجمعة، أن الشيطان يبكي كلما قرأ إنسان الآيات التي أمره الله فيها بالسجود لسيدنا آدم فأبى، فأمسك بالمصحف وفتح سورة الأعراف وأخذ يقرؤها، وكلما قرأ كلمة من كلماتها أحس أن مجرى هوائيًا قد فتح وتمدد ليتنفس منه، ظل يقرأ ويقرأ حتى دمعت عيناه، حينها شعر بأنه أصبح قادرًا على السيطرة على نفسه ودبت فيه روح تفاؤل عظيمة وحسن ظن بالله عميق.

أذّن المؤذن لصلاة الفجر فذهب للصلاة في مسجد الحسين.

كان المسجد يبعد عنه قليلاً ولكن كانت إقامة الصلاة فيه تتأخر عن باقي المساجد، صلى الفجر ثم أسند رأسه إلى أحد

الأعمدة وأخذ يقرأ أحد الأوراق المكتوب عليها أذكار الصباح حتى شعر برغبة شديدة في النعاس فرجع إلى بيته ونام.

شاكر

وجد "سامح" صديقه "شاكر" على بوابة الجامعة ينتظره قائلاً له: أهلاً يا بروفسير "سامح" ... كان "سامح" طويلاً نحيفًا محنيّ القامة قليلاً، وكان "شاكر" قصيرًا يميل إلى البدانة، حتى أنهما كانا عندما يسيران مع بعضهما البعض، يناديهما أصدقاؤهما بواحد وخمسين! كان "شاكر" صديق "سامح" الوحيد، رجل حقيقي، كفى "سامح" بقية الأصدقاء، كان من الأوفياء الذين يعتمد عليهم من جهة، وصاحب رأي سديد في أي مشكلة تواجه "سامح" من جهة أخرى، لذا كان الصديق الوحيد لـ"سامح"، بخلاف "شاكر" الذي كان لديه الكثير من الأصدقاء، وإن كانوا بالطبع ليسوا في منزلة "سامح"، كانت آراء "شاكر" لـ"سامح" –غالبًا– ما تكون صائبة، ولا ينسى "سامح" "نادية" التي أحبها قلبه والتي كانت في السنة الأولى وقت أن كان في السنة الرابعة، ولا يدري لماذا تعلق قلبه بها إلى

هذا الحد وكان يحكي ذلك لـ"شاكر" وهو يستمع إليه، وكان دائمًا يلمح له أن هذه الفتاة لا تناسبه إلى أن جاء ذات يوم وقالها له صريحة أن ظروفه لا تسمح بالزواج الآن فالعيب ليس في الفتاة ولكن في التوقيت، حينها كان رد فعل "سامح" غريبًا، فقد بكى بكاءً مرًا راجيًا "شاكر" أن يراجع قراره!! مع أن هذا لم يكن بالطبع قرارًا ولكنه رأي شخصي ولـ"سامح" حرية قبوله أو رفضه، ولكن لثقة "سامح" في آراء "شاكر" كان يعلم أن ما يقوله هو الصحيح ... وقد كان "شاكر" محقًا، فهذه الخطبة كانت ستصبح عائقًا في حياته فهو يريد السفر ولا شيء يشغله سوى الحصول على الدكتوراه ... كان كل ما يعيبه "سامح" على شاكر ضعفه الدراسي، فهو لا يذاكر طوال العام ثم يأتي في آخر شهر ليجلس إلى "سامح" الذي يقوم بتلخيص المواد وشرحها له، وهكذا ينجح "شاكر" وهو شاكر لـ"سامح" ما فعله، كان "سامح" الأول على دفعته كل سنة أما "شاكر" فقد كان متفوقًا في مجال آخر، مجال التجارة، لذا كان لا يأخذ من أبيه جنيهًا واحدًا بل وأحيانًا كان يشارك في مصاريف المترل.

علــي

ظل "سامي" يهزه ليوقظه من نومه، وحينما أفاق، أخـــبره أن صديقه "علي" بالخارج وهو يريده بشدة وأصـــر علـــى إيقاظه، فقابله "مصطفى" وقبل أن يبدأ "علي" حديثه، خاطبه "مصطفى" معاتبًا وأخبره أن هذا الموضوع قد انتهى ولا أريد التحدث فيه مرة أخرى.. رد عليه "علي" أن هذه المرة الأمر مختلف وهو في انتظاره في البازار ورجاه عـــدم التـــأخر لأن الأمر مهم وعاجل.

نجـــاة

"أعلم أن شكلي حينما أستيقظ من النوم يكون سيئًا للغاية فبالله عليك لا أريد أية تعليقات" كان هذا حديث "مصطفى" مع ابنة عمه وخطيبته وجارته في العمارة، وقـــد قـــرأ الآبـــاء فتحتهما منذ الصغر وتمت خطوبتهما، رجته "نجاة" ألا يحـــزن، ففرج الله قريب، وأنها ستظل في انتظـــاره طـــوال عمرهـــا، فشكرها على حديثها المشجع وأخبرها أن "علي" يريده في أمر هام دون أن يصرح له بشيء حول طلبه الغريب.

بيت "سامح"

أسرعت إليه أمه حينما دخل من الباب قائلة: خير يا دكتور "سامح" طمئني يا بني هل ستسافر؟ وإلى أين ومتى؟... قال "سامح": اهدئي يا أمي اهدئي يا حبيبتي إن شاء الله سأسافر إلى أستراليا والحمد لله أنهيت أهم ورقة، الموافقة الأمنية التي قلت لك عنها سابقًا، لم يعد باقيًا لي إلا بعض الأوراق...حينها دخلت عليهما "آلاء" وكانت قد سمعت أستراليا فقالت: أستراليا يا ولاء تعالي "سامح" سيسافر إلى أستراليا، جاءت "ولاء" مهرولة وقالت: أستراليا يا لحظك السعيد، كانت "ولاء" تلي "سامح" ثم "آلاء" أصغر منها بسنة ثم "محمد" آخر العنقود، وكان كل من يرى "ولاء" و"آلاء" يظنهما توءمًا مع أن الفارق بينهما عام كامل... ليس فقط لتقارب عمرهما وإنما لارتباطهما الشديد ببعضهما، فلا يخرجان ولا يدخلان إلا معًا حتى إذا أنهت إحداهن محاضراتها تنتظرها الأخرى، وإذا مرضت إحداهن مكثت الأخرى في البيت لا تخرج منه، الفارق الوحيد كان تفوق "ولاء" الدراسي عن "آلاء" التي كانت تنجح بالكاد.

مشكلة ولاء

مرة واحدة رجعت "ولاء" وحيدة من الكلية، كانت تبكي، ودخلت غرفتها، وعبثًا حاول أفراد أسرتها أن يعلموا ما حدث فلم تزد على أن قالت أن الدكتور طردها من المحاضرة. لم يعلموا إلا من "آلاء" حينما جاءت وقصت عليهم أن الدكتور "رءوف" طبع مذكرة تباع إلى الطلاب بعشرين جنيهًا، وهي لا تساوي ثلاثة جنيهات، بالإضافة إلى كتابه المباع بثلاثين جنيهًا وكانت الكتب الجامعية والمذكرات تباع في مكتبة التفوق أمام الجامعة ... كان الطلاب يشترونها بنفس الطريقة المعتادة كشف به أسماؤهم جميعًا، ومن يشترى المذكرة يتم التأشير أمام اسمه. وقد اشترى الألف وتسعمائة طالب أفراد الدفعة كلهم المذكرة عدا سبعة عشر طالبًا منهم "ولاء". هدّد الدكتور "رءوف" وتوعَّد من لم يشتر المذكرة ... فاستأذنت "ولاء" في الحديث قائلة إن ثمنها كثير عليها وأنه لو سمح لها بتصوير الـ... قاطعها الدكتور رءوف بمجرد سماعه كلمة تصوير قائلاً: إن كان أهلها لا يستطيعون الإنفاق عليها لتتعلم فلتجلس في البيت وتنتظر ابن الحلال الذي يأخذها على حصانه الأبيض ويطير بها ... ضحك الطلاب، إلا أن "ولاء" كانت ذات شخصية قوية، فقالت له: عفوًا لم أكن أعلم أنك تريد مبلغ الثمانية والثلاثين ألفًا مكتملين، ثم نظرت حولها لزملائها: نعم ألف وتسعمائة طالب في عشرين جنيهًا ... ثم نظرت

للدكتور رءوف وقالت: لا يشغل بالك بالطبع كيف سنجمع هذا المال ولا ماذا سيفعل آباؤنا في سبيل أن نأتي إلى هنا ونتعلم، وكل ما تأخذه من عرق وكد آبائنا ينفقها ابنك "جلال" في ليلة واحدة ... وبالمناسبة يا دكتور أبي يتقاضى أربعمائة وثمانين جنيهًا ينفق منها عليَّ أنا وإخوتي الثلاث وأمي والحمد لله ليس بيننا مدمن مخدرات ولا من يتطاول بالسب والضرب على أبيه، ولعل ذلك لأنه يجني ماله من حلال وليس من عرق غيره ... وبعد أن سكتت "ولاء" عن الكلام المباح وغير المباح، كان الطلاب يوزعون نظراتهم بين "ولاء" رمز الشجاعة -أو لعلها كبش الفداء- و الدكتور رءوف الذي كان يكسو وجهه الاندهاش، والغضب، والذي قال لها بهدوء: لقد انتهى مستقبلك في هذه الكلية ابحثي لك عن كلية أخرى وابدئي بها السنة الأولى من جديد أما هنا فلا مستقبل لك. خرجت "ولاء" منتصرة، ولكنها خاسرة لمستقبلها لأنها لم تقبل الإهانة. حاول "سامح" مقابلة عميد الكلية والذي لم يفعل شيئًا في هذا الأمر وعندما تحدث مع الدكتور "رءوف" قال له: ابحث لأختك عن كلية أخرى وهذا آخر كلام عندي ... وحينما قص "سامح" على "شاكر" ما حدث قال له: دع لي هذه المشكلة. إن شاء الله سأقوم بحلها ... تعجب "سامح" من رد "شاكر" فهو يعلم جيدًا أن شاكر لا أصدقاء أقوياء له ولا أقرباء مهمون ولا معارف في إدارة الجامعة ولكنه يعلم أيضًا أنه مادام قال سأحل المشكلة فإن لديه خطة.

كان اتحاد طلاب الكلية يحارب ظــاهرة جــشع بعــض الأساتذة وكان يناشد الطلاب الوقوف في وجه هذا الجــشع وحينما جلس "سامح" و"شاكر" مع أحد أعضاء الاتحاد كان خبر "ولاء" قد وصل إليهم، فاقترح "شاكر" تبني اتحاد الطلاب لمشكلة "ولاء" كخطوة إيجابية مــن اتحــاد الطــلاب ضــد المذكرات... وفي اليوم التالي دخل "تــامر ســعيد" -رئــيس الإتحاد- المدرج واستأذن الطلاب في الحديث إليهم مخبرًا إياهم بوجوب الوقوف مع "ولاء" ضد الدكتور "رءوف" والذي قد يضر السبعة عشر طالبًا منهم بسهولة ولكن لا يستطيع أن يضر بألف وتسعمائة، وكل ما يطلبه منهم هو التوجه لـ"بسيوني" بعد انتهاء محاضرتهم مطالبين برد نقودهم وإرجــاع المــذكرة تضامنًا مع زميلتهم وأنه سيخرج الآن مع بعض طلاب الدفعة ليفعلوا ذلك ... خرج بعض الطلاب مع "تامر" متوجهين إلى "بسيوني" وأخبره "تامر" أن طلاب الفرقة الثانيــة قــد أتــوا لإرجاع المذكرة واسترداد نقودهم تضامنًا مع زميلتهم "ولاء"، وكان "بسيوني" يعلم كل مــا يــدور بالجامعــة حــتى أدق التفاصيل..

البـازارات

كان أصحاب البازارات يجلسون أمام محلاتهــم، وكــان العديد من الشباب يعمل معهم وهؤلاء يتحــدثون لغــات عديدة كالإنجليزية والألمانية والإيطالية رغم أميــة بعــضهم

وكانوا ينادون على السائحين اللذين يمرون أمامهم، وكـــان "مصطفي" كالأجانب أزرق العينين، شعره أسمر ناعم وكثيف يحييهم كلما مر من أمامهم، واحدًا واحدا بالاسم حتى وصل بازار "علي"، وحينما قابله طلب منه كوبًـــا مـــن الـــشاي بالنعناع.

كان "علي" مشغولاً مع بعض الزبائن فأخذ "مـــصطفى" يتذكر إلحاح "علي" عليه في العمل معه فـ"مصطفى" يجيـــد الألمانية تحدثا وكتابة وكذلك الإنجليزية وسوف يعطـــي لـــه مرتبًا مجزيًا بالإضافة لعمولة عن كل زبون يجلبه إليه.

وأخذ "علي" يقنعه أن العمل معه في البازار في مجاله الذي درسه وأنه عمل غير مرهق وسيجني منه دخلاً شهريًا لا بأس به.

رفض "مصطفى" هذا العرض أكثر من مرة، لكن هـــذه المرة الأمر مختلف، فقد أخذ "علي" على "مصطفى" الأيمـــان المغلظة بألا يخبر أحدًا بما سيقوله له اليوم، لدرجة أغـــضبت "مصطفى" فهمّ بالانصراف، وحينما رجاه "علي" ألا يفعل، قال له "مصطفى": أبعد كل سنين العشرة هذه تظن أنني لن أفي بوعدي في كتمان أسرارك، ثم إن هذا المصحف الـــذي تضعه زينة في محلك أهم بكثير من أن يكون للقسم عليـــه. حينها اعتذر إليه "علي" واصطحبه إلى غرفة داخـــل المحـــل وأخذ يبرر له لماذا هذه السرية، فهو يريد القيام بإنشاء ورشة

لتحنيط الموتى، للمصريين والأجانب وإن كان الكثير من المصريين لن يقدروا على تحمل نفقات التحنيط فإن الأجانب يستطيعون.. فما قولك أليست فكرة رائعة.. صرخ فيه "مصطفى" قائلاً : إن المال الوفير الذي يجنيه من عمله قد أصابه في عقله، ثم ما علاقتي أنا بالذات بما تريد؟!كان "علي" و"مصطفى" أصدقاءً منذ زمن بعيد. منذ أن كانوا أطفالاً. كان والد "مصطفى" يعمل موظفًا بالإسكان وكان والد "علي" لديه البازار الذي يعمل فيه "علي" الآن بعد وفاة والده وبعد أن حصل على شهادة الدبلوم. لم يكن لدى "علي" الوقت ليجلس مع أصدقائه كالسابق، إلا أن علاقته ظلت طيبة بـ"مصطفى". ولقد تعجب "علي" من "مصطفى" كثيرًا حينما رفض فكرة ورشة التحنيط، فـ"مصطفى" يهتم بأمر التحنيط قبل دخول كلية الآثار، بل منذ صغره، فحينما كان يذهب لـ"عم طه" الحلاق وهو صغير يظل يسأله عن الصقر المحنط عنده هل هو حي أم ميت؟ لماذا لا يتحرك؟ وإذا كان ميتًا لماذا لم يدفنه؟ وهكذا كان منبهرًا بهذا الأمر خاصة أن "عم طه" كان يحكي له الكثير من الأساطير عن الزئبق الأحمر والتعاويذ السحرية، كما كان "مصطفى" يذهب لـ"عم سلام" الذي كان يبيع الكتب القديمة بالجمالية ويشتري كتبًا خاصة بالفراعنة وملوكهم وأسرهم وبخاصة الكتب التي تتحدث عن عملية التحنيط، وظل هكذا يشتري الكتب ويقرأ عن كل اكتشاف جديد في هذا المجال،

حتى دخل الكلية ودرس التحنيط وعلم أنه علـــم ولـــيس أساطير وخرافات رغم أن الفراعنة كانوا يخلطـــون في هـــذا الأمر بين التعاويذ السحرية والتمائم إلا أنهم كـــانوا علـــى دراية كبيرة بعلم التشريح وخواص النباتـــات والأعـــشاب والمواد التي تستخرج منها. أو بعد كل هذه الخبرة تقـــول لي وما علاقتي أنا بالتحنيط؟

أصر "مصطفى" على ما قاله بأن الأمـــوال الـــتي لديـــه تكاثرت على عقله فأصابته بالجنون... أتريد أن نأخذ جثـــة إنسان نفرغها من أحشائها ثم نقوم بدهنها وتكفينها هكـــذا بسهولة؟ إننا سندخل السجن بلا أدنى شـــك وســـيقومون بتحنيطنا هناك.

وحينما همّ "مصطفى" بالانصراف رجاه "علي" أن يفكر في الأمر مرة أخرى لأنهم سيجنون من تحنيط جثة واحدة ما يجنيه من بازاره هذا في عام كامل.

كمــال

دخل "كمال" غرفة المحادثة في الموعد المتفق عليه بينهما. كان "كمال" متزوجًا من فتاة ألمانية ولديهما ولد صغير، اتفقا على تسميته "يوسف" كما كان يناديه "كمال" أو "جوزيف" كما كانت تناديه "نتاليا" زوجته.

تعرف "كمال" بـ"نتاليا" في مصر في خان الخليلي وساعدته في الحصول على التأشيرة ثم العمل هناك في ألمانيا ثم تزوجا بعد وصوله هناك بفترة قصيرة. وطوال المدة التي قضاها هناك وهي أربع سنوات لم يزر فيها مصر وإن كانت اتصالاته بأصدقائه "حازم" و"عصام" و"عماد" و"مصطفى" لم تنقطع في السنة الأولى ثم ظلت اتصالاته بهم تقلّ إلى أن أصبحت في الأعياد والمناسبات الرسمية.

سأل "مصطفى" "كمال" عن سبب تذكره له مع أنهم ليسوا في عيد!! ضحك "كمال" وأوضح له أنه لم ولن ينسى أصدقاءه أبدًا، حينها طلب منه مصطفى أن يساعده في الحصول على تأشيرة ألمانيا، وهي بالطبع تأشيرة المجموعة الأوروبية ككل... أوضح له كمال أن الأمر عسير جدًا وأن كثيرين طلبوا منه ذلك خاصة عن طريق زوجته، كدعوة

منها للزيارة أو ما شابه إلا أن هذا الأمر صعب وخاصة بعد الأحداث الإرهابية الأخيرة في العالم، حينها رد عليه مصطفى أنه يجيد الألمانية بطلاقة لذا اختار ألمانيا، ثم إنه لا يريد دعوة من زوجته وإنما يريد منه معلومـــات عـــن كيفيـــة التقـــدم للسفارة، هل سياحة أم دراسة؟ وفي حال حـــصوله علـــى التأشيرة، هل باستطاعته توفير فرصة عمل له؟

أخبره كمال أن توفير فرصة عمل له سيكون هينًا بـــإذن الله، المهم الآن حصوله على التأشيرة بأي طريقة. وهنا قـــال كمال: وجدقما، ألا تزال تدرس في معهد جوتـــه؟ فأجابـــه مصطفى بأنه أنهى المرحلة العليا فيه. فقال لـــه: إذًا تراســـل إحدى الجامعات لاستكمال دراستك هناك، وحينما تذهب إلى السفارة تأخذ معك شهادات المعهـــد، وإذا اســـتطعت الحصول على توصية منهم فسيكون شيئًا رائعًا.

بسيونـــي

لقد تخرجت أجيال عدةٌ من الجامعة و لم ير بسيوني مظاهرة من أجل طالبة ظلمها أستاذها من قبـــل ... رأى مظـــاهرات لفلسطين أو ضد أمريكا وإسرائيل. تذكر يوم مظاهرة ســـلمان

رشدي، وقد علم قبلها بالأمر فقام بطبع آلاف من الصور لسلمان رشدي وقد تم تصويره بشكل بشع فاشترى كل من كان بالمظاهرة منه هذه الصورة بجنيه ... ولم تكن قد كلفته عشرة قروش.

كان بسيوني موظفًا بالصرف الصحي ... وجعلته زوجته يؤجر هذا المحل القريب من الجامعة ويفتحه مكتبة يجلس فيها حتى آخر اليوم بدلاً من القهوة وكان بسيوني لا يستطيع أن يرد لها كلمة فهي الآمر الناهي في البيت ... ولا نعلم السبب في ذلك تحديدًا، ولعل من بين هذه الأسباب أن مرتبها من وظيفتها بإدارة الجامعة كان ثلاثة أضعاف مرتبه، حتى فكرة الكشوف بأسماء الطلاب ومن يشترى يؤشر أمام اسمه كانت فكرتها. وبعد أن انتهت إجازته من الصرف الصحي لم يستطع التجديد فقدّم استقالته وتفرغ للمكتبة التي أصبحت فاتحة خير عليه. اشترى المحل الذي به المكتبة ثم اشترى قطعة أرض بناها منزلاً ثم سيارة خاصة، فهل كل هذا تهدمه عليه طالبة؟ من..... أفاق من تفكيره ... تامر سعيد رئيس الاتحاد الذي طلب منه ردًا ظانًا أنه يستهين بهم ... هو لا يعلم أن بسيوني خشي على الدجاجة التي تبيض ذهبًا ... وأعلمهم أنه سيحاول التوصل لاتفاق مع الدكتور رءوف ... بالطبع كان تامر يعلم جيدًا أن بسيوني لن يعطيهم شيئًا ولكنها رسالة تهديد للدكتور رءوف. وفي اليوم التالي حضرت ولاء للكلية بعد اتصال من عايدة زميلتها التي قصّت عليها ما حدث، وحينما

حضرت كان الطلاب يحيّونها ويهنئونها على شجاعتها. تعجبت ولاء، أليس هؤلاء من ضحكوا سخرية منها بالمس القريب؟!

هل كل هؤلاء كانوا يشعرون بالظلم وينتظرون أن يقوم أحد بالتصدي له فإذا انتصر عليه عندها يبدعون في التحرك؟!!

عندما دخل الدكتور رءوف لم يكن ككل مرة يدخل فيها، ما هذا التواضع أو قل الانكسار. ما هذا اللين أو قل الانهزام. ما هذا الصوت الحنون، أو قل المغلوب على أمره ... قال: يا أبنائي إنما أطبع المذكرات لأرفع بها مستواكم العلمي لا أكثر، أما بالنسبة لابنتي ولاء فقد كانت لحظة غضب، و لم أكن لأنفذ شيئًا مما قلته، فهل يؤذي والد أبناءه؟! تصفيق حار من الطلاب..ولا أحد يدري هل هو تصفيق استحسان أم استهزاء، ولكن الدكتور رءوف اعتبره تصفيق استحسان ومر الأمر هكذا بسلام.

نجاة

ذهب مصطفى لشقة عمه واستأذنه في التحدث مع نجاة. كان عمه يأذن له بالجلوس معها في الصالة الكبيرة وكان أفراد الأسرة يتجمعون لمشاهدة التلفاز في الجزء الأمامي منها بعيدًا عنهم، إلا أن نجاة حينما سمعت من مصطفى موضوع

السفر استأذنت أباها في الخروج إلى الشرفة، وعاجلته نجاة قائلة: أتريد السفر للخارج فعلا؟ فرد عليها مصطفى بالإيجاب، فقالت له: لماذا؟ إن أباك لديه الكثير من المال، ثانيًا لديك شقة في البيت الذي ورثت فيه أمك. ماذا ينقصك؟ العمل؟ سيأتي يوم تعمل فيه إن شاء الله، إلا إذا كان في رأسك شيء آخر.

نظر إليها مصطفى معاتبًا وقال: أنت تعرفين مصطفى جيدًا، لا شيء في رأسه سواك، إلا أنني علمت أن المستأجر للمحل أسفل بيتنا أمامه سنة ويتركه ففكرت أن أجمع بعض المال في خلال هذه السنة لأفتح بازارًا.

صحيح أنه يبعد كثيرًا عن بازارات خان الخليلي إلا أنني بإذن الله سوف أصنع له شهرة تجذب السياح إليه. هذا كل ما جال بخاطري. سنة واحدة فقط لا أكثر.

فقالت له نجاة: إن أباك إذا طلبت منه المال فلن يتأخر عنك، فرد عليها مصطفى: أريد الاعتماد على نفسي، أريد أن أثبت للجميع أنني أستطيع تحمل مسئولية نفسي ولن أعيش في جلباب أبي ويكفي أنه سيعطيني المحل.. هذا ما نويت عليه بإذن الله.

غضبت نجاة حين سمعت منه الجملة الأخيرة، قائلة: نويت، كأنها حياتك وحدك وليس لك فيها شريكة. افعل ما شئت.

ضحك مصطفى قائلاً لها: أقصد هذا ما نويت أن أعرضه عليك لأخذ رأيك فيه بدليل أنني لم أنفذ خطوة عملية بعد، وبدليل تواجدي الآن معك لاستشارتك في ذلك. فما رأيك أيتها الغادة الجملية؟ هزت نجاة رأسها في حزن: كيف أستطيع البعد عنك سنة كاملة؟

فرد عليها: يا جاهلة ألم تسمعي عن اختراع يسمى الإنترنت، والاختراع الآخر الذي يُسمى الكاميرا ويتيح لنا التحدث ورؤية بعضنا بعضًا؟

ردت نجاة: ولكن يا ترى هل سيصمم أبي أن يكون الجهاز في الصالة أيضا حينما أتحدث معك؟

رءوف

رءوف جلال غلاب أستاذ بكلية الآداب متزوج من الدكتورة شاهيناز الطويل الأستاذ بكلية التجارة ... من الأثرياء، يعيش في فيلا كبيرة وله ولد واحد، "جلال" ... وهو الذي قالت عنه ولاء أنه مدمن مخدرات والذي حاول والداه معه كثيرًا حتى يُقلع عن الإدمان أو حتى يكمل تعليمه إلا أنهما فشلا في ذلك وأحيانًا ما كانت تظهر كدمات في وجهيهما يفسرها من حولهما باعتداء جلال عليهما بالضرب ... بعد

فترة اختفى جلال من حياتهما وحاولت أمه كثيرًا العثور عليه فلم تجده في أي مكان حينها أكمل الزوجان حياتهما ولكن في طريقين مختلفين، انصرفت الدكتورة شاهيناز إلى أعمال الخير والبر عسى الله أن يرد لها ابنها سالمًا ويشفيه من الإدمان، أما زوجها فقد أصبح ماديًا جشعًا لا هم له إلا جمع المال من الطلاب وتحميلهم ما لا يطيقون!

والدكتورة شاهيناز من أسرة غنية وكانت وهي طالبة بالجامعة محط أنظار الجميع فكانت لديها سيارتها الخاصة وأنيقة في ملابسها ويبدو عليها أنها من أسرة غنية وحينما رأت رءوف الطالب بكلية الآداب أعجبت بشخصيته فلم يكن كباقي الشباب كان شابًا جادًا شهمًا تُرى فيه صفات الرجولة الحقة، فارتبطت به وأحبته ومع أنها كانت في كلية التجارة إلا أنها كانت تذهب إليه حتى عرف الجميع بحبها له وحينما ذهب رءوف بصحبة والده الأستاذ جلال غلاب الموظف بالبريد ليخطب شاهيناز من أبيها الحاج حمدي الطويل تاجر الأقطان والذي قال لهم: أتعلمون أن جد شاهيناز كان باشا ... بالطبع كان هذا رده عليهم... فالفارق الاجتماعي والمادي بينهما كبير ... إلا أن شاهيناز انتظرت رءوف إلى أن تم تعيينه بالجامعة ثم ألحت على أبيها بأنه اليوم معيد وغدًا أستاذ بالجامعة وهذا وضع اجتماعي مناسب لهم ... وبعد إلحاح وافق الحاج حمدي على رءوف الذي رفض أي مساعدة من أسرة زوجته وكون الزوجان حياتهما بأنفسهما ولكن يبقى السؤال متى

أصبح الدكتور رءوف هكذا طماعًا جشعًا ... لعل ذلك حينما بدأ ابنه يدمن ثم بدأ يعتدي عليهم بالضرب وحوّل حياتهم إلى جحيم عندها بدأ الدكتور رءوف في الانتقام من ابنه في شخص كل ابن، سواء كان طالبًا عنده أو طالبة، لعل هذا هو التفسير، ولعله لا يكون.

معهد جوته

معهد جوته هو معهد يقوم بتدريس اللغة الألمانية ويوجد بالقاهرة والإسكندرية، وهو المركز الثقافي الوحيد لألمانيا الذي يمتد بساطه على مستوى العالم.

حينما دخل مصطفى المعهد كان كل شيء كالعادة مكتوبًا باللغة الألمانية، ليس هناك كلمة واحدة عربية، ولكن الغريب هذه المرة وجود لوحة كبيرة معلقة في البهو الواسع المؤدي إلى المكتبة مكتوب عليها بالعامية "صاحب بالين غلبان، ومتواضع جدًا كمان " أعاد مصطفى قراءة اللوحة أكثر من مرة حتى أنه حينما رأى فراو هبة -إحدى المدرسات بالمعهد- سألها عن مغزى هذه العبارة، فتعجبت لأن المعنى واضح، فقال لها مصطفى: نحن نتربى على أن صاحب بالين كذاب وليس غلبان حينها شرعت فراو هبة

في شرح الأمر قائلة له: أنت يا مصطفى مثلاً ما تخصصك؟ قال لها: الآثار، قالت له: وبالطبع أنت حاصل على دورات عديدة في جوته، فرد عليها بالإيجاب، فسألته هل هناك دراسات أخرى للغات أخرى أو هوايات أو.... فرد مصطفى: لا، عندها قالت له: إذن العبارة تنطبق عليك فلابد أن تدرس في أكثر من مجال وتأخذ أكثر من دورة. شكرها مصطفى وتعجب من هذه الأمثلة المتخلفة التي نتربى عليها.

توجه لإدارة المعهد للحصول على توصية باستكمال دراسة اللغة بأحد فروع جوته بألمانيا، حيثُ أنه أتم دراسة المرحلة الأساسية والمتوسطة والعليا ويريد الحصول على دبلوم اللغة الصغير ثم الكبير، فوافق المعهد وأشار في توصيته أنه من الطلبة المتفوقين، ووصّى بتيسير إجراءات سفره.

لقاء في الخارجية

وقف مصطفي خلف طابور طويل إلى إن وصل إلى الموظف الذي قال له: أين طابع الشرطة؟ ولم يكن معه فأخبره الموظف أن يخرج من الصف وحينما سأله مصطفي هل سيقف في الصف من أوله مره أخرى؟ قال بلامبالاة:

بالطبع هيا، حينها أخرج له من كان يقف خلفه بالصف طابع الشرطة وأعطاه إياه قائلا: أنا دائمًا أعمل حسابي، وحينما أنهى مصطفي أوراقه، انتظر الشاب الذي أعطاه طابع الشرطة ليشكره. وبعد أن أصر الشاب على عدم أخذ ثمن طابع الشرطة، عرّفه مصطفي بنفسه: أنا مصطفي حنفي من الجمالية وجئت لأختم شهادتي الجامعية لعلّي أستطيع الحصول على عمل بها في الخارج. قال الشاب: وأنا شاكر عبد الحميد وجئت لكي أختم أوراق الإجازة لصديقي "سامح" الذي يدرس في أستراليا للحصول على الدكتوراه.

قال مصطفي: بالتوفيق إن شاء الله لك وللدكتور "سامح".

روتيني إلى أقص حد

حينما دخل "سامح" على الأستاذ "سعيد" قابله عابسًا، تعجب "سامح" و"شاكر" الذي كان يرافقه من هذه المقابلة وخاصة حين أخبره أن يمر به بعد يومين و لم يُبد أسبابًا لهذا التأخير، حينها همّ "سامح" بالانصراف إلا أن "شاكر" خاطب

الأستاذ "سعيد" قائلاً: نريد أن نعرف ما الذي يؤخر الأوراق لعلنا نستطيع فعل شيء حينها صرخ فيه الأستاذ "سـعيد" أن هذا ليس من شأنه ولم يأت به "سامح" محاميًا عنه.....رد عليه "شاكر" بنفس نبرة الصوت العالي بأنه من حقه أن يعرف مـا يؤخر أوراقه ولن يتحرك من هنا قبل أن يعرف ذلك ثم خاطبه بلهجة حانية: أنت تعرف كيف ينتظر "سامح" هـذا الأمـر بفارغ الصبر، نحن متأكدون أن هناك مشكلة ولكننـا أيـضًا متأكدون أن الأستاذ "سعيد" يستطيع حل أي مشكلة، حينـها أخذ الأستاذ "سعيد" ملفًا وخرج به خارج المكتب و"سـامح" يتعجب ويقول: لم يكن معي كذلك من قبل ماذا حدث؟... حينها قال الأستاذ "حمودة" زميل الأستاذ "سعيد" بالمكتـب: الأستاذ سعيد طيب القلب ولكن حدثت له اليوم مشكلة ... انتظر حتى يسأله أحدهما ... فلم يسأله أحد فأكمل كلامـه: لقد جاء إليه ابنه اليوم لأنه كان في مشكلة ويريده أن يكلـم العقيد كمال صديقه المُقَرَّب ليحل له هذه المـشكلة أجلـسه الأستاذ سعيد بمكتبه وذهب للعقيد كمال وحينما تأخر عليه...

قام الأستاذ حمودة من على مكتبه ووقف على باب المكتب حتى يلمح الأستاذ سعيد حينما يأتي وأكمل كلامه حينما تأخر الأستاذ سعيد على ابنه ذهب لمكتب العقيد كمـال والـذي وجده يكيل إليه أقذع الشتائم وأبوه يتذلل إليه ألا يُحرجه أمام ابنه فدخل ابنه عليه قائلاً: كفى يا أبي ولا تذل نفـسك لأي مخلوق وما كان من الأستاذ سعيد إلا أن ... دخل حمودة إلى

مكتبه سريعًا وانكب يكتب في الأوراق كأنه لم يقل أي شيء حينها دخل الأستاذ سعيد قائلاً: يبقى لك ختم وزارة التعليم العالي والخارجية ثم مقابلة السفارة، شكراه كثيرًا وانصرفا.

أما الذي لم يكمله حمودة، فأن الأستاذ سعيد لم ينس موقف العقيد كمال معه، فحينما دخل ابن المأمور لجنة خاصة ككل عام لأنه يعاني من حُمّي شديدة!! أصر الأستاذ سعيد أن يكون هو مشرف هذه اللجنة ومع ابن المأمور اعتاد إن تدخل له الأسئلة بإجاباتها النموذجية إلا أن الأستاذ سعيد أغلق عليه الباب من الداخل واتصل بالوزارة واتصل بأحد الصحفيين في الجرائد، ليقوم بإحراج العقيد كمال أمام المأمور.

حوار ساخن

ماذا تقول؟ تسافر لألمانيا... لماذا؟ إن الذين يسافرون لا يجدون ما ينفقون ونحن لدينا المال والحمد لله. هل تريد كسر قلب والدتك حبيبتك؟ لا تسافر يا بني وكل ما تريده سألبيه لك أنا وأبوك.

رد مصطفى عليها: سنة واحدة فقط يا حبيبتي أعتمد فيها على نفسي وأرى الدنيا، نظرت أمه إلى والده قائلة له: هل

ستظل هكذا صامتًا لا تتكلم؟ قل له يا رجل ألا يسافر وأنه لو سافر سيكون عاقًا لوالديه... هيا، إن هدوءك وصمتك يثيران أعصابي. حينها قام أبوه واصطحبه لغرفة المكتب، وقال لها: من فضلك أعدي لنا كوبين من الشاي ودعي لي هذا الأمر. كان المهندس إسماعيل حنفي رجلاً حكيمًا، وكان يجيد التعامل مع ولديه، لذا حينما جلس مع مصطفى بادره قائلا: يا مصطفى إياك والتصرفات الهوجاء فهي لا تصلح إلا للصغار، لذا أصدقني القول ما الذي يدفعك للسفر؟ أخبره مصطفى أنه ليس لديه أية أسباب أخرى غير التي قالها وأن تصرفه هذا ليس رد فعل أهوج لأي شيء وهو يعلم أنه لن يتأخر عنه في شيء ولكن كل ما يرجوه هو الاعتماد على نفسه، ثم بدأ يتحدث بلهجة حانية يملؤها الامتنان: هناك مواقف لن أنساها لك أبدًا يا والدي وستكون لي قدوة في التعامل مع أولادي، فأنا لن أنسى لك حين كان مجموعي يؤهلني في الثانوية العامة لدخول كلية الإعلام وحينها كنت مهووسًا بالآثار وبالفراعنة والتحنيط، وقفت إلى جانبي وصممت ألا أدخل إلا الكلية التي أحبها، وبعد ما تخرجت ولم أجد وظيفة لم تعاتبني أو تشعرني بالندم. ولم تترك رحلة للآثار في أي مكان إلا وكنت تشجعني للذهاب فيها.

وأتذكر أيضا التمساح المحنط الذي أحـــضرته لي ذات يـــوم واشتريته بثمن باهظ أثار حفيظة والدتي فتشاجرت معـــك، فقلت لها: طالما أنه يحب الآثار والتحنيط فلن تضيع أية نقود ننفقها عليه هباء.

كنت دائمًا بجانبي، فلا تخذلني اليوم، وكل ما أطلبه عامًا واحدًا فقط، أرجوك يا أبي وافق.. حينـــها ســـكت والــــده وابتسم وقال له: لن أوافق فقط بل سأسحب مـــن البنــــك نقودي وسأستأذن عمك وعمتك في سحب نقودهما لأضعها في حسابك حتى يكون فيه رصيد كبير حينما تذهب لإجراء المقابلة في السفارة، كما أنّ لدي صديقًا في وزارة الخارجيـــة كما أخبرتك من قبل، قد يستطيع أن يـــساعدنا في ذلــــك الأمر. حينها دخلت والدته حاملة أكواب الشاي، وحينمـــا نظرت في عينيهما قالت: أرى الآن النظرات نفـــسها الـــتي رأيتها في عينيك يوم أن وافق أبوك علـــى دخولـــك كليـــة الآثار.. افعل ما تريده، ومن الآن لست بـــابني، وتركتـــهم ودخلت غرفتها، حينها همَّ مصطفى أن يقوم وراءها فأجلسه أبوه قائلا له: دعها لي فهي زوجتي وأنا أدرى بها.

قبل الرحيـل

التقي بـــ"شاكر" في الحديقة التي كانا يلتقيان بهـــا دائمًـــا والعجيب أن "سامح" حينما وصل في موعده تمامًـــا كالمعتـــاد وجد "شاكر" ينتظره ... قال له: هذه سابقة فريدة يا أســـتاذ شاكر سيسطرها التاريخ أنك لم تأتِ في ميعادك وفقط، بـــل وقبله ... كان "شاكر" دائمًا ما يتأخر وحينما يعاتبه "سامح" الملتزم دائمًا بمواعيده يبدأ شاكر كلامه بالاعتذار ثم التبرير لـــذا قال شاكر: مرة في عمري أحضر في موعدي ... المهم قـــص على ما حدث في السفارة، قال "سامح": أنه حـــصل علـــى التأشيرة بسهولة لأنها منحة دراسية وحينما رجـــع إلى البيـــت وجد أقاربه كلهم ووجد زملاء أبيه في العمل ووجد صـــناديق المياه الغازية حتى شعر كأنه عريس في ليلة زفافه وليس مسافرًا لأستراليا ولكن أتعلم يا شاكر لقد لاحظت شيئًا ... حينمـــا عاتبت أبي على كل هذه المصروفات قال لي: ربنـــا يرزقـــك بالذرية الصالحة التي تقر بها عينك حتى تعلم ما نحن فيـــه مـــن فرحة.

قال شاكر: من غير الأب والأم يتمنيان لك أن تكون أفضل منهما ... أخرج شاكر مـــائتين وخمـــسين دولارًا أســـتراليًا وأعطاها لسامح أي نحو ألف ومائتين وخمسين جنيهًا، تعجب

"سامح" كثيرًا كيف وجد شاكر دولارات أسترالية وعبثًا حاول ردها أو إقناعه بأخذ ثمنها ألا أن شاكر أصر أن يأخذها وعلل ذلك بأنه حينما يأتي بروفسيرًا إلى مصر سيُذكره شاكر بأن لحم أكتافه من خيره وهذا آخر قرار شفوي لي معك وقراراتي بعد ذلك ستكون إلكترونية عبر الإنترنت ولا تحضر سيارة توصلك للمطار لقد اتفقت مع سيارة، هيا لكي نشترى لك ما تحتاجه ثم تذهب لتنام.

في السفارة

حينما سأله الموظف عن اللغة التي يريد التحدث بها، أخبره أنها الألمانية. تحدث مصطفى بطلاقة وأعجب موظف السفارة بلغته وبعد أن طالع شهاداته وتوصية معهد جوته بادره قائلا: أخبرني في رأيك ما الذي يدفعني لإعطائك التأشيرة؟

فكر مصطفى قليلاً ثم قال له في أدب جم: إذا أعطيتني التأشيرة فأظن أن بلدك ستستفيد حين يزورها طالب وسائح مثلي، أما إذا لم تعطها لي فأظن أن سفارات أخرى سوف ترغب في ذلك.

نظر إليه موظف السفارة ثم قال له: استرح قليلاً حتى تأخذ جواز السفر وعليه تأشيرة ألمانيا العظمى التي لن يزيدها أو ينقصها شخص يزورها.. تنهد مصطفى وأخذ نفسًا عميقًا وهمّ بشكر الرجل إلا أنه لم يفعل.

الرؤيا

جمع غفير من الناس ومنصة عليها أناس ينادي أحدهم: الآن يتم تكريم الدكتور "سامح" قطب المنسي، تصفيق شديد من الحاضرين يصعد "سامح" إلى المنصة ثم يتغير المشهد ليجد نفسه في طائرة يفتح بابها ليترل سلمًا ويُفرش له السجاد في الأرض ويلتقي بالشيخ الشعراوي الذي يهنئه ثم يعطيه الجائزة التي يفتحها فيجدها مصحفًا. يفرح به كثيرًا ويقبله وهو يبكي قائلاً: شكرًا لك شكرًا لك، ثم يسمع صوت آذان يعلو ويعلو إلى أن يستيقظ من نومه. كان هذا آذان الفجر ... بعد أن صلى بالمسجد ذهب لإمام المسجد الذي هنأه بالبعثة فقص عليه "سامح" رؤيته فقال: خيرًا إن شاء الله، أعتقد أنه سيكون لك شأن عظيم بالقرآن.

شكره "سامح" وودعه الشيخ موصيًا إياه بألا يترك صلاته وأن يهتم بقراءة القرآن كي يعصمه الله من كل سوء.

الوداع

هنّأه كمال كثيرًا ولم يتخيل هذه السرعة التي تم بها الحصول على التأشيرة. حتى أنه لم يكن قد أعد أي شيء لاستقباله، وحينما سأله عن الموعد الذي يرغب في القدوم لألمانيا فيه، أخبره أن ذلك سيكون في الأسبوع المقبل، وحينها سأله مصطفى عن مكان المبيت وعن العمل، فأخبره كمال أن العمل سيكون بأحد مطاعم المصريين هنا، أما المبيت فلا تقلق فسأقوم بتوفير مكان مناسب.

ودّع أصدقاءه وأخبرهم بأنه سيتواصل معهم على الإنترنت، وودّع خطيبته نجاة واتفق معها أنه سيحدّثها يومين في الأسبوع على الإنترنت أيضا.

الطائرة

عندما صعد إلى الطائرة شم رائحة غريبة، وحينما سأل إحدى المضيفات أخبرته بأن الطائرة يتم رشها بالروائح العطرية قبل أن يركب بها المسافرون ... أقلعت الطائرة وشعر بانقباض شديد في صدره وبصفير في أذنه وشعر بجسمه يبرد ... وحينما

استقرت الطائرة في الجو بدأ يستعيد أنفاسه. كان كلما تـــذكر أن الرحلة سوف تستغرق قرابة العشرين ساعة يضيق صـــدره، فكيف له بقضاء كل هذه المدة في هذا الكرسي.

بدأ توزيع الطعام وبدأت أصوات السماعات تنطلق منـــها أغنية باللغة الإنجليزية تقول مازلت أنادي أستراليا فسأل إحدى المضيفات عن المغني، فأخبرته أنه "بيتر ألن" المغـــني الأســـترالي المعروف.

2

في الخارج

المطار

هبطت الطائرة بمطار "ملبورن" الدولي.. كانت لديه شكوك عديدة عن معاملة العرب في المطارات الأجنبية.. ولكن بدا كل شيء سلسًا بدون تعقيدات حتى خرج من المطار.. وركب التاكسي متجهًا إلى جامعة "ملبورن".. كانت هناك الكثير من المساحات الشاسعة الخالية من أي مبانٍ ثم بدأت المباني الشاهقة تظهر رويدًا رويدًا وأثناء سير التاكسي إذا به يشعر بوعكة في بطنه فجأة حاول الصبر، فلم يستطع، فطلب من السائق التوقف عند أقرب دورة مياه.. وحينما وقف، نزل "سامح" تاركًا حقائبه في السيارة وإن لم ينس أن يأخذ رقم السيارة وأسرع بدخول دورة المياه، وحينما دخل سمع موسيقى هادئة.. وانبهر بالنظافة الفائقة والأعجب حينما خرج كان هناك صوت مسجل يشكره لاستخدام الحمام.. حتى ضحك "سامح" قائلاً: لا داعي للشكر.. ركب التاكسي وتحدث معه السائق وعلم أنه عربي مسلم، قال له: أتسمح لي بسؤال؟ قال "سامح": تفضل، قال: بما أنك مسلم فإن دينك لا يحل لك

دخول دورات المياه هذه..وإن كنت أعلم أنك دخلتها مضطرًا.. شك "سامح" في المكان الذي دخله ثم سأل: ولماذا يحرم ديني دخول الحمامات؟ قال السائق: رأيت السائقين المسلمين معنا في المطار لا يدخلون إلا حمامات خاصة لهم في مستوى الأرض، ويأخذون معهم زجاجات مياه، ولا يستعملون أبدًا دورات المياه الأخرى.. سأله "سامح": ولِمَ؟ قال: إنهم يقولون إن دينهم يأمرهم بهذا، ولكن يبدو أنك غير متعمق في دينك كثيرًا، رد "سامح": بل هم الذين لا يعلمون شيئًا عن دينهم.

إن ديننا يأمرنا بالطهارة وهي أعلى مرتبة من النظافة، سواء أكانت الحمّامات في مستوى الأرض أم أعلى منها. أرجو ألا تأخذ فكرة عن الإسلام من منطلق الحمامات هذه، فديننا أكبر من ذلك بكثير.. وصل التاكسي إلى الجامعة، فنزل "سامح" وهو يخاطب نفسه متعجبًا: هل فعلا يفعل السائقون المسلمون ذلك؟!!

ألمانيــا

جمهورية ألمانيا الاتحادية مساحتها **355.744** كيلو مترًا مربعًا، العاصمة "برلين"، اللغة الرسمية الألمانية وهـــي ثالـــث أكبر دولة في أوربا بعد فرنسا وإســـبانيا ويمثـــل تعـــدادها السكاني ثلث تعداد سكان الولايات المتحدة بالكامل، مع أن مساحتها تساوي مساحة ولاية "مونتانا" تقريبًا.

المناخ معتدل وبحري، ففي فصل الصيف لا ترتفع درجة الحرارة عن **29** درجة مئوية، أما في الشتاء، فهي باردة مع هطول الأمطار الغزيرة ورطوبة عالية نسبيًا ويسقط الجليد في الجنوب.

تتداول اللغة الألمانية بين عدد كبير من الأوروبيين وهـــي إحدى اللغات المعدودة في العالم التي تبدأ فيها جميع الأسمـــاء بحرف كبير.

المطـــار

وجد كمال في انتظاره بالمطار واصطحبه معه إلى البيت، وحينما وصل وجد ناتاليا في استقباله. كان الزوجان قد أعدا له وليمة فاخرة واستقبالاً حارًا ويبدو أن كمال كــان قــد حدَّث زوجته عن مصطفى كثيرًا وبعد أن جلــس ثلاثتــهم يتسامرون استأذنت منهم ناتاليا فسأل مصطفى كمال عــن المكان الذي سوف يسكن فيه، فأخبره كمال أنه لم يــستطع بعد توفير مكان للمبيت فيه، لأن إنهاء إجراءات سفره كانت سريعة، لذا سيستضيفه لديه، حتى يجد لــه مكانًــا مناســبًا للسكن. رفض مصطفى ذلك بشدة وأخبره بــأن زوجتــه الألمانية لا تعرف مثل هذه الطبائع الخاصة بهم، وسأله: هل لم تجد لي عملاً أيضا؟ أخبره كمال أن العمل موجود بالفعــل ويستطيع تسلمه من الغد إن شاء ذلك وإن كان العمل لــن يكون عند المصري صاحب المطعم كما أخبره في التليفــون، ولكن في محل ملابس يملكه تركي لا يستطيع أن يرد له طلبًا، خاصة أن زوجته وزوجة كمال أقارب كما أنــه أخــبره أن مصطفى يجيد الألمانية. شكره مصطفى وأخبره أنّه سيتــسلم العمل بدءًا من الغد وأنه لن يمكث لديه أكثر من الليلة، إلا أن كمال رفض ذلك بشدة قائلا له: أنت أخي وناتاليا تعرف ذلك جيدًا ولن يضايقها وجودك عندنا أبدًا.

الجامعـة

رحب موظف استقبال المدينة الجامعية بسامح وأخبره أنـه كان يتمنى أن تكون إقامته مع عربي مثله ولكن إقامته ستكون مع فيرناندو. حينما صعد الغرفة تذكر أن معه شريكًا بها، فلم يفتح الباب بمفتاحه وإنما طرق الباب أولاً، ولما لم يجب أحـد فتح الباب ودخل الغرفة.. كانت واسعة بها من كـل شـيء زوجان، سريران، دولابان، مكتبان، شباكان، مروحتان، حمام واحد وشرفة واحدة، حينما فتحها ووقف بها شعر بنسمة هواء باردة فشعر برغبة كبيرة في النعاس، فدخل وألقى بنفسه علـى الفراش ونام بملابسه. أفاق على صوت بالغرفة حينما قام وجد من يشغل الحمام فعلم أنه زميله بالغرفة والذي خرج واضـعًا منشفة على رأسه فحياه "سامح" ثم قال له: لابد أنك فيرناندو، فهز رأسه بالإيجاب فتابع "سامح" حديثه: وأنا "سامح" مـن مصر، فقال فيرناندو: نعم أعلم أهلا بك، ثم ذهب إلى فراشـه ونام. لم يكن ودودًا بالمرة قالها "سامح" في نفسه.

ثم أتبعها: ودود أو غير ودود لا يعنيني ذلك في شيء فلابد أن أدخر جهدي لما جئت من أجله، أخذ حمامًا وحاول النـوم فلم يستطع، خرج إلى الشرفة وأخذ يستنشق الهواء بها.. كان الشارع خاليًا من المارة عدا بعض سيارات الشرطة والأجـرة التي تقطع الشارع ذهابًا وإيابًا.

سأل نفسه كم يا ترى سأظل هكذا، الناس نائمون وأنا مستيقظ والعكس، متى سأتكيف مع التوقيت؟ سمع صوتًا يقول باللغة الإنجليزية: ستظل هكذا أسبوعًا، فنظر خلفه فوجد فيرناندو والذي كان يكسو وجهه الغضب يكمل كلامه: فإذا لم تكن أنت ستنام لمده أسبوع فدعني أنا أنام فلا تزعجني بفتحك للشرفة هكذا، ثم أغلق باب الشرفة من الداخل ثم رجع إلى نومه. رباه ما هذا الشخص الكئيب يبدو أن عشرتي معه ستكون صعبة. أكمل مشاهدته للشارع وحينما غالبه النعاس دخل ونام.

وحينما استيقظ كانت الساعة العاشرة صباحًا. يا الله لقد تأخرت على موعد البروفسير ماذا سيقول عني؟ ارتدى ملابسه سريعًا وهرول إلى الجامعة.

أول يوم عمل

عرَّفه كمال بـ"مسعود روحي" صاحب المحل الذي رحب به قائلاً: أهلا بمن أوصاني كمال عليه أسبوعًا كاملاً حتى اشتقت لحضورك من كثرة حديث كمال عنك. هيا بنا، اصطحبه "مسعود روحي" إلى غرفة زجاجية مغلقة وبدأ يعلمه نظام الكمبيوتر الذي يقوم بتثمين السلع لديهم وفهم مصطفى العمل سريعًا وبدأ رسميًا في تسلم عمله.. كانت مواعيد العمل من التاسعة صباحًا حتى الساعة السادسة

ونصف مساءً كل يوم، من الاثنين إلى الجمعة، أما السبت فحتى الساعة الثانية والأحد عطلة.

بعد أن أنهى عمله وأغلق المحل أبوابه وقف على بابه حائرًا لا يدري ماذا يفعل؟ إلى أين يذهب؟ هل يعود إلى بيت كمال؟ هو لا يعلم حتى مواعيد عودته من عمله.. لقد أكد عليه كمال في العودة بعد انتهاء عمله حتى أنه دوّن له عنوان شقته في ورقة، إلا أنه لا يريد أن يكون ضيفًا ثقيلاً عليهم من أول يوم ويكفي كمال ما فعله من أجله. وبينما كان يقف حائرًا على باب المحل إذا بـ"مسعود روحي" يأتي بسيارته التي ذهب ليجلبها من الجراج ثم رجع ليطمئن إلى إغلاق المحل فوجد مصطفى واقفًا على الباب وبعد أن علم بسبب ذلك، عرض عليه أن يبيت ليلته هذه بالمحل، إلى أن يستطيع توفير سكن له، فاستحسن مصطفى الفكرة، فأدخله مسعود المحل وأغلق عليه من الخارج ثم انصرف.

لم ينس مصطفى أن يتصل بكمال ويعلمه أنه وجد مكانًا للمبيت حتى أن كمال غضب جدًا حينما سمع أنه سيبيت ليلته بالمحل، وأصر على أن يأتي ليصطحبه إلى منزله، إلا أنه علم أن "مسعود" أغلق الباب من الخارج فقبل أخيرًا بالأمر وهو عاتب عليه ما فعل.

كانت الهواجس كلها تدور في رأسه ويظـــن بالبروفـــسير الظنون، فمن المؤكد أنّه سيأخذ فكرة سيئة عنه وخاصة أن هذا أول يوم له وهم لديهم فكرة أن العرب كسالى ولا يحترمـــون مواعيدهم وحينما وصل إلى المعمل وبرغم مقابلة "نعيم" الطيبة وطمأنته له إلا أنه كان مرتبكًا جدًا حتى أنه لم يـــشغل نفـــسه بالتطلع إلى المكان حوله وحينما وصل إلى البروفسير أخذ يعتذر كثيرًا وأنه لم يقصد التأخير.. قاطعه البروفسير.. هـــون علـــى نفسك أنا أعلم أن هذه كانت أول ليلة لك هنا.. أنا أعلم ماذا تعني أول ليلة فلقد أشرفت على الكثير من المغتربين وأعلم جيدًا أن الساعة البيولوجية لديك لم تعدّل بعد ولكنها قريبًا ستتغير، أهلا بك يا "سامح" معنا في قسم الحيوان، وأرجو أن توفق في نيل ما جئت من أجله.. جامعه "ملبورن" من الجامعات العريقة يكفى أن ترتيبنا يجيء في المركز الثاني والعشرين عالميًا وآمل أن تجد تعاونًا منا وإفادة لك كما ينبغي. وقعت هـــذه الكلمـــات على "سامح" كقطع الثلج التي توضع على رأس المريض المحموم حتى أنه قال للبروفسير: لن أنسى لك هذه المقابلـــة الحـــسنة وأرجو أن أكون عند حسن ظنك.. بالطبع كان قـــد الـــتقط أنفاسه وهدأت أعصابه فبدأ يتأمل المكان حوله فهذا المكان من

المفترض أن يقضى به فتره الدكتوراه. طلب البروفسير من "نعيم" أن يأخذ "سامح" في جولة في المعمل ثم بعدها يدعو لعقد اجتماع.

المبيت في المحل

كان الوقت مبكرًا للنوم، فضلاً عن تغيير مواعيد اليوم بالنسبة إلى توقيت مصر، فجلس مع نفسه يفكر، راوده شعور بالضيق، ما الذي فعله بنفسه؟ هو لم يكن بحاجة لأن يبيت ليلة كهذه أو يعمل في محل كهذا ويبتعد عن بلده، لماذا فعلت ذلك بنفسي؟ كانت أمي على حق حينما قالت لي أن الذي يسافر هو الذي لا يجد ما ينفق. شعر بالضيق فذهب كعادته إلى حقيبته وأخرج مصحفه وأخذ يقرأ في أول صفحة فتحها، وكانت سورة "يونس" وظل يقرأ إلى أن وصل إلى الآية الثانية والتسعين. وقف عندها ككل مرة متسائلا: ألن أصل إلى تفسير يؤكد ظنوني أو ينفيها؟ وكانت الآية:

{ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ } يونس.

هل هذه الآية فعلاً تتحدث عن التحنيط أم أنني من كثرة قراءتي تمنيت ذلك وتوهمته.

أقسام المعمل

القاعة الأولى: مكان كبير به ميكروفون وكراسي كبيرة ومريحة مع مسند خشبي مثبت عليه أوراق وقلم.. وشاشة عرض سينمائي كبيرة.. كانت هذه القاعة لاجتماع المجموعات الدراسية فيها عند الضرورة.

القاعة الثانية: قاعة التفكر.. والتي لم ينتظر "سامح" "نعيم" ليشرح له ما يراه وأخذ يتجول بها منبهرًا بشدة.. قاعة زجاجية شفافة كبيره تحيط بها من كل جانب حدائق ذات بهجة من الخارج ومن الداخل تملؤها روائح الورود الزكية، هنا أشار "نعيم" إلى أحد الأزرار ووضع على أذن "سامح" سماعات قائلاً: هذا إن كنت تريدها صوتًا وصورة، حينها سمع "سامح" صوت الطيور علق قائلاً: ليس فقط صوتًا وصورة بل لتشاهد المباراة وكأنك في الملعب.. فكل من يشغل باله شيء ويريد التفكير فيه، يأتي إلى هذه القاعة.. قال "سامح": لو أنني أستطيع أن أعيش بقية حياتي هنا! إلا أنه اقتنع عندما أخبره "نعيم" أنه قال هذا الكلام من قبل وحينما عاش الحياة هنا غيَّر من رأيه. ركبا المصعد وصعدا مرة أخرى إلى المكتبة.. والتي وجد بها كتبًا كثيرة وماكينات لتصوير المستندات. أمّا المختبر الرئيسي فكان به الكثير من الأجهزة، ومعظمها لا يعرفه "سامح"، وإن كان متأكدًا أنّه سيعرفها بمرور الوقت.

الاجتماع

تتكون مجموعة البحث التي بها "سامح" من ستة أفراد.

المشرف: – البروفسير "آدمز"، أسترالي الجنسية في الخمسين من عمره أشقر طويل ذو جسم رياضي، متزوج وله بنتان.

مساعدته: – الدكتورة "ماري"، نيوزلندية الجنسية، في الثلاثين من عمرها، أكثر الموجودين خبرة بعد البروفيسير وتتميز شخصيتها بالمرح والود مع زملائها.

فيرناندو: – برازيلي الجنسية، في منتصف العقد الخامس من عمره، شفاهه غليظة، أسمر مفلفل الشعر متوسط الطول.

نعيم: – لبناني الجنسية، اثنان وثلاثون عامًا، أبيض، شعره ناعم طويل، جسده مترهل، وغير متزوج.

ساو: – كوري الجنسية أصغر الموجودين سنًا، سبعة وعشرون عامًا، قصير وملامحه كملامح كل الآسيويين.

"سامح": – يكاد يكمل عامه الثلاثين، مصري الجنسية، طويل، معقوف الأنف ومحني الظهر قليلاً، قمحي اللون، غير متزوج.

بعد أن عرف البروفسير "سامح" بأعضاء الفريق بدأ يشرح لسامح فرق الدراسة المختلفة. فلقد كان هناك أكثر من فريق لدراسة طائر الكيوي موضوع البحث. فريق لدراسة الجهاز

الهيكلي وفريق لدراسة الجهاز التنفسي وآخر لدراسة سلوك الطائر وأثر البيئة عليه.. الخ.

أما "سامح" فكان ينتمي للفريق الذي يدرس الجهاز الهيكلي للطائر، وطائر الكيوي رمز لدولة نيوزلندا وهو طائر عديم الأجنحة، يغطي جسمه الشعر يعيش حتى الثلاثين من عمره، وتكون هذه المدة بين ذكر وأنثى لا ينفصلان. ترعى الأنثى الصغار ويخرج الذكر ليأتي بالطعام، وحينما تكبر الذكور تخرج مبكرًا عن الإناث التي تظل تحت رعاية والديها فترة أطول.

أين ستقضى العطلة يا "سامح"؟ رد "سامح" على "نعيم" قائلاً إنه يريد أن يبدأ العمل ولا وقت لديه لعطلة.. ضحك "نعيم" قائلاً له: مرحبًا بك في أستراليا حيث العطلة مقدّسة.. حيث لا يعمل أحد أو يفكر أو يتكلم في العمل ولو سمعك البروفسير لأنتقدك كثيرًا، لأن العطلة هي ما يدفعك إلى استكمال عملك بنشاط... أين ستقضي العطلة إذًا؟

التحنيط

ومعناه الحفاظ على الجسد بعد الموت وهي كلمة عربية مشتقة من الحنوط وهي مواد عطرية كان يدهن بها الجسد ومن هنا جاءت كلمة "الحانوطي" والتي أصبحت فيما بعد

"الحانوتي". أما لماذا قام الفراعنة بالتحنيط، فلاعتقادهم أن الإنسان يموت موتتين، الأولى وهي مفارقة الروح الجسد وهي انتقالية، أما الثانية فترجع الروح فيها لتسكن الجسد مرة أخرى، والذي لابد أن يكون بحالته حتى تستطيع أن تتعرف عليه الروح حينما تعود.

يراجع مصطفى الآية مرة أخرى ويقف أمامها. فتح جهاز الكمبيوتر، فكر قليلاً من أين يبدأ؟ ثم كتب في موقع البحث كلمة "نجاة في القرآن، فوجدها في مواضع عدة:

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ } الإسراء.

{ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ...... ﴿٤٩﴾ } البقرة.

{ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ } البقرة.

النجاة هنا تعنى السلامة من الأذى فلم نسمع من قبل عن النجاة من الخير. وحين بحث عن معنى كلمة النجاة في الآية وجدها "رفعك على نجوة من الأرض لكي تظهر لقومك"، فالنجو: هو المكان المرتفع.

ذهب إلى حقيبته وأخرج أجندته الزرقاء، رفيقتـــه منـــذ خمس سنوات وكانت كبيرة الحجم تحوي كـــل ملاحظاتـــه وأفكاره عن التحنيط. كان يسميها الأجندة المحنطة وكـــان يتمنى أن يقوم بطبعها كتابًا بهذا الاسم. فتحها وأخذ يقرأ ما دوّنه بها من قبل عن هذه الآية. إن غرق فرعون أمر مـــسلّم به، إذا فماذا تعني النجاة لإنسان غرق ومات؟

إنّ النجاة هنا ليست لروحه طبعًا وإنما لبدنه من التلف، وذلك ليكون آية وعظة لمن يأتي بعده.

ولكن ما الفرق بين الجسد والبدن؟ هذا ما لم أدونه هنا.

رجع إلى جهاز الكمبيوتر وكتب كلمة "بـــدن" ثم أخـــذ يقرأ: البَدنُ هو ما علا من جسد الإنسان فيقال لمن سَمُنَ قد بَدُن وهو بدين، والبُدن (بضم الباء) الإبل المسمنة للنحر، ثم كثر ذلك حتى سمي ما يتخذ للنحر بَدنه سمينـــة كانـــت أو مهزولة.

هل هذا يعني أن البدن هو جسد مفرغ من أحشائه؟!!

إن كان ذلك فهذا أول الخيط، ثم يكمل قراءة ما جـــاء بموقع البحث حول أن الجسد جسم فارقته الروح. أســـرع وأخذ يدوّن ذلك في الأجندة حتى لا ينساه.

إذًا الجسم والجسد والبدن ثلاثة أسماء تتكامل في المعـــنى، فالجسم روح وجسد، والجسد بدن وأحشاء. إذن كلمه بدن

هي مفتاح أول خطوة من خطوات التحنيط... لكــن يــا إلهي... هل معنى ذلك أن الله أخرج فرعون من الماء بـــدون أحشائه الداخلية؟

هل هذا أمر معقول؟ سكت قليلاً ثم أكمل: ربما فالمعجزة تكون خارقة للمنطق ومخالفة للعادة، هل هذه هي الآية التي جعلها الله تذكرة لمن خلفه؟

عاد مرة أخرى إلى الانترنت يبحث في معنى بدنك، فوجد قول بعض المفسرين أنها الدرع النفيس الذي كـــان يرتديـــه فرعون ويتميز به، وحرف الباء الذي يسبق بدنك هنا هـــي "باء المصاحبة" لأن الدرع يصاحب الجسد.. فهـــل يكـــون المعنى أن الله نجّاه بدرعه ليكون لمن خلفه آية؟!

سأحاول فهم الآية وفق ما قالـــه المفـــسرون الكـــرام، باستبدال كلمة البدن بالدرع، لتكون الجملة (فاليوم ننجيك بدرعك لتكون لمن خلفك آية)... ماذا فهمت يا مـــصطفى؟ ماذا فهمت يا مصطفى؟

(فاليوم ننجيك يا فرعون بدرعك لتكون لمن خلفك آية) تعني أنه نجا وخرج من البحر بدرعه ولم يمت وهذا سيناقض الآية التي تحدثت عن غرقه من جهة، وســـيكون الـــسؤال المنطقي: أين الآية إذا؟ لذلك فذكر البدن هنا يؤكد موته لأن الإنسان لن يعيش بدون أحشائه.

غالبه النعاس ولما لم يستطع مقاومته ذهب إلى أحد أركان المحل ونام.

أول عطلة

استيقظ "سامح" من نومه على صوت رنين التليفون ليجـــد "نعيم" يقول له: هيا يا "سامح" لكي نريك عاصـــمة ولايـــة فكتوريا وثاني أكبر مدينة بعد سيدني في أستراليا.. إنها ملبورن الرائعة.. فلم يملك سوى الموافقة.

دعاه "نعيم" و"ساو" إلى إفطار في مطعم لبناني ذهبوا إليـــه بسيارة ساو. كان الطعام رائعًا، منقوشة لبنانية بالزعتر وزيت الزيتون.. وبعد ذلك توجهوا إلى متنزه يارا وهو متنزه كبير به ملعب كريكت.. أشار ساو إلى شجرتين كبيرتين جدًا وأخبره أنهم كانوا يصنعون منها القوارب قديمًا .. أخرج ســـاو مـــن حقيبة سيارته ثلاجة بها مياه غازية ولحم وأخرج نعيم الشوّاية وبدءوا في شواء اللحم، بعد فترة تداخلت رائحة شواء اللحـــم مع نسمة هواء باردة جميلة.. شعر "سامح" بمعنى عطلة.. كانت هناك أمامه أكشاك خشبية رائعة الشكل تبيع الحلوى والآيـــس كريم وحينما أخذ "سامح" طبقه وبدأ في تناوله، إذا بـــسيارة مسرعة تندفع من الطريق بالخـــارج لتـــصطدم بأحـــد هـــذه الأكشاك، حينئذ قام "سامح" من مكانه وجرى تجاه الحادث. والغريب أنه لم يتحرك أحد من الناس!! كانوا كلهم يراقبـــون الوضع من بعيد.. جرى "سامح" وأخرج سائق السيارة ووضعه

على الأرض. وتبعه نعيم وساو اللذان شرعا في إخـــراج مـــن بالكشك.. وصلت سيارتا شرطة وإسعاف وطلب الشرطي من "سامح" وزميليه إفادة حول الحادث ثم دوّن عنـــوان عملـــهم لأنهم قد يطلبون للشهادة في المحكمة.

عاد كل فرد في المتنزه لما كان عليه قبل الحادثة كما عـــاد الثلاثة "سامح" ونعيم وساو لإكمال طعامهم، وسط نظـــرات العجب ممن حولهم لما فعلوه. كان "سامح" يعجب من ذلـــك فلو كانت هذه الحادثة في مصر لتجمع الناس حولهـــا لدرجـــة إعاقة عمل المسعفين والشرطة!

مكان للمبيت

كان في المحل عاملان آخران غير مصطفى وهما "يـــازار" و"محمود" ومع أنهما يعملان بهذه المهنة منذ مدة طويلة كمـــا أخبراه، إلا أنه لاحظ أنهما يبدوان كمن يمارسها لأول مرة.

كان هو الوحيد غير التركي الجنـــسية بالمحـــل بالمقارنـــة بصاحبه، ومن يعملان معه فيه، وبدأ مصطفى في تسلم عمله وممارسته بسهولة ويسر، وساعدته لغته الألمانية الجيدة كثيرًا في هذا. وفي فترة الغداء انتحى مصطفى بيازار جانبًا وســـأله

إن كان يستطيع أن يتقاسم معهم سكنهم بدلاً من أن يبيت الليلة بالمحل أيضًا وسوف يدفع كل ما هو مطلوب منه، فردّ يازار أنه ليس وحيدًا في الشقة حتى يرد عليه، ولابد له من عرض الأمر على محمود الذي وافق بدوره على الأمر وتم حل مشكلة السكن بالنسبة إليه.

الاستدعاء

كان "سامح" يبدأ يومه في السادسة صباحًا بصلاة الفجر ثم الإفطار ثم العمل من السابعة إلى الخامسة تتخللها ساعة غداء. جاء شرطي يسأل عن ثلاثتهم "سامح" و"نعيم" و"ساو" فعلموا أنه استدعاء للمحكمة للشهادة في الحادثة. وحينما قص "سامح" ذلك على شاكر في الإنترنت أصابه القلق إلا أن "سامح" طمأنه أنها شهادة عادية.. قص "سامح" على شاكر كل شيء، المعمل وقاعة التفكير وفريق البحث.. ويوم العطلة حتى أخبره أن أهله أرسلوا له رسالة بالبريد الدولي.. تعجب شاكر لماذا لا يتحدثون إليك على الانترنت كما نفعل نحن؟.. أعلمه أن الأمر كان عاجلاً فقد تقدم عريس لأخته ولاء، ميسور الحال يعمل محاسبًا بالإمارات وأخته زميلة ولاء بالجامعة ويرغب في إتمام الزفاف سريعًا... شاكر، هل ما زلت معي؟ شاكر... أعادها مرارًا حتى رد عليه شاكر معتذرًا بأنه فيما

يبدو قد أصيب بنزلة معوية لأنه أكل اليوم ساندويتش كبدة من الشارع، ويبدو أنه سبب هذه النزلة، لذا لن أستطيع إكمـــال حديثي معك، وخرج من غرفة المحادثة. ظل "سامح" في غرفـــه المحادثة لا يدري ماذا يفعل؟ ما الذي أصاب شاكر، هل هـــي نزلة معوية فعلاً أم أنه شيء آخر؟ وإن كان شيئًا آخر فلمـــاذا يخفيه؟

حينها عاد شاكر إلى غرفه المحادثة واعتذر كثيرًا جدًا، وهو يقول: ليتني لم آكل هذا الساندويتش وانتهت المحادثة بينهما. لم يسترح "سامح" لما حدث.. لقد لازم شاكر سنين طويلة وهو يعرفه جيدًا. هل كانت فعلاً نزلة معوية أم أنه مـــرض آخـــر خطير؟ أرجو أن يكون في استطاعتي مساعدته.. وما عليَّ مـــن ذلك.. آه يا شاكر لو أعلمتني ما بك. حينها قام من فراشـــه واتصل بشاكر قائلاً له في لهجة حازمة: أنا لا أستطيع النوم و لم أصدق ما قلته لي، فلابد أن تصدقني القول.. مـــاذا بـــك؟ رد شاكر: إذًا كلِّمني على النت كي لا أكلفك كثيرًا.

في الشقـــة

كان يازار ومحمود شابين في العقد الثالث من عمرهمـــا، تبدو عليهما الملامح التركية.. طوال القامة.. شـــعر نـــاعم كثيف.. يتكلمون بحدة إلا أنهم كانوا أيضا ودوديـــن وقـــد

لاحظ مصطفى ذلك من معاملتهم الحسنة له، فعلى سبيل المثال كانت الشقة ثلاث غرف فكان من نصيب مصطفى أحسن غرفة كما قاموا بنقل جهاز الكمبيوتر من غرفة أحدهم إلى البهو الخارجي لكي يتمكن مصطفى من الجلوس إليه في أي وقت شاء.

وللحق فقد انزعج مصطفى حينما رأى الشقة فاخرة، لذا سألهم عن المبلغ الذي سيقوم بدفعه فأخبراه أنّه سيكون مبلغًا بسيطًا يعلم به آخر الشهر.

أعدا له عشاءً، وكان محمود يجيد الطبخ، وبعد أن فرغوا من طعامهم دخل كل واحد منهم إلى غرفته ونام.

اتصل مصطفى بالبيت عنده وطمأنهم على أخباره، وأنه وجد عملاً وسكنًا بمساعدة صديقه كمال، وأن العمل غير مرهق على الإطلاق. وبعد أن اطمأن على أخبارهم وأنهى المكالمة اتصل بنجاة وقص عليها هي الأخرى ما قاله في المكالمة الأولى واطمأن على أخبارها وظلت توصيه على نفسه وتوصيه على عينيه ألا تذهبان يمينًا أو يسارًا، وأن يتذكر أن هناك من تنتظر يوم رجوعه إلى مصر بفارغ الصبر.

مشكله شاكر

في الحقيقة مشكلتي هي أختك ولاء.. كنت أتمناها زوجة لي وكنت أنتظر الوقت المناسب لأتقدم لخطبتها إلى أن علمت منك بأمر العريس وأنا ظروفي المادية هذه الأيام لا تصلح لهذا الأمر.. ولا أدرى ماذا أفعل.. سكت "سامح" لدقيقة فظنّه شاكر غاضبًا مما سمعه إلى أن قال له: ألم أطلب منك من قبل أن ترتبط بها وكنت تتعلل بالظروف والأحوال.. والآن حينما تقدم لها غيرك.. تريد التقدم لها؟!.. أتدرى كم أنا سعيد ومغتاظ.. سعيد لأني لن أجد لأختي خيرًا منك ومغتاظ لأنك لم تلمّح لي بأي شيء.. والآن تقول لي لا تستطيع فعل شيء.. كان كل ما عليك فعله هو الاتصال بي وإعلامي بذلك.. ولا دخل لك بالباقي.. إن شاء الله ولاء لك.. أتسمعني.. قال شاكر: نعم أسمعك ولكن ظروفي الآن.. قاطعه "سامح": لن يستعجلك أحد في شيء. قال شاكر: لقد أزلت جبلاً كبيرًا من على صدري، لن أنسى لك هذا الموقف ما حييت.

كان "سامح" متعجبًا جدًا، فلم يظهر شاكر اهتمامًا بولاء بأي صورة من الصور من قبل.

لعله لم يرد أن يفسد العلاقة بينهما.. وتذكر "سامح" موقف ولاء مع الدكتور رءوف وكيف عالج شاكر الأمر وكيف اهتم به.

وفي اليوم التالي اتصل "سامح" بالبيت بعد مغادرة والـــده.. وبعد أن تحدث مع والدته طلب منها أن يكلم ولاء.. وحينمـــا تحدث إليها عن العريس لم يكن ردها سوى أنها لا تفكـــر في هذا الأمر الآن.. كان ردًا فاترًا جدًا.. فباغتها قائلاً: ولكـــن هناك عريس آخر طلب يدك مني.. لم ترد.. فقال لها.. شاكر.. حينما سمعت ولاء اسم شاكر اضطربت قائلة: من؟ من؟ فقال لها: كما سمعت شاكر.. ما قولك؟ فلم تـــرد عليـــه.. قـــال "سامح": أنا لا أفهم في شغل البنات هـــذا.. أريـــد إجابـــة صريحة.. قالت ولاء.. هذه آلاء معك ستكلمك.. قالـــت آلاء بعد أن أعطتها ولاء السماعة.. ألم تسمع أن السكوت علامـــة الرضا؟ يا سيدي هي تريد شاكر ولا أحد غيره.

كان يسمع صوت ولاء وهي تضربها وتقول لها: اســـكتي، حينها أكملت آلاء: لماذا تضربينني؟ ألم تعطني السماعة لأقـــول ذلك وها أنا ذا قد قلت؟!

لم تتخيل ولاء عريسًا لها غير شاكر.. كانت كلما سمعـــت اسمه خفق قلبها، كانت تتابع أخباره من بعيد ترمقه بنظراتها من الشرفة حينما يخرج من عندهم دون أن يشعر بها أحد ســـوى آلاء أختها والتي كانت دائمًا ما تتعجب قائلة إن هذا النوع من الحب انتهى منذ زمن، فنحن في عصر الإنترنت ولابد لهـــا أن تلمح له بحبها حتى يتقدم لخطبتـــها إن كـــان يبادلهـــا نفـــس الشعور.. لم تفعل ولاء ولم تتصور أن تفعل ذلك حـــتى ولـــو كلفها تحطم قلبها.. لذا حينما تقدم العريس لم تدر ماذا تفعـــل

ولا بماذا تتعلل إلا أن الله سبحانه وتعالى أرسل لها "سامح" لينقذها.. والفضل لله أولا وأخيرًا.

وفى اليوم التالي حينما تحدث مع الأسرة على النت استأذن أباه في طلب شاكر يد ولاء منه وسأله رأيه. كان عم قطب يعرف شاكر جيدًا فلم يتردد لحظة في أن يوافق، خاصة أن زوجته أم "سامح" كانت قد قصت عليه ما حدث بالأمس بين "سامح" وولاء في التليفون.

الهجوم الكبير

بينما كان مصطفى في المحل، إذا بمجموعة من الشباب يقتحمونه ومعهم مضارب بيسبول وشرعوا في تكسير زجاج المحل وعاثوا فيه فسادًا وحينما هم مصطفى باعتراض طريقهم إذا بيازار ومحمود يأخذان بيده وانتحوا جانبًا ولم يفعلا أي شيء. ظل مصطفى واقفًا في مكانه واختلطت في نفسه مشاعر الخوف والتعجب، فكيف يتركون هؤلاء الشباب المخربين يفعلون هذا بالمحل ولا يتدخلون؟! وحينما سمع صوت سيارات الشرطة بدأ قلبه يطمئن وبدأ المخربون يهمون بالانصراف إلا أن الشرطة أطبقت عليهم وتعاملت معهم بقسوة شديدة لم يتوقعها مصطفى، ثم أخذت الشرطة

أقوال العاملين بالمحل وبعد فترة جاء "مسعود روحي" ومعه مجموعة من العاملين الذين بدءوا في تنظيف المحل بمساعدة مصطفى ويازار ومحمود وتركيب زجاج جديد بدلاً من المكسور.

وقف مصطفى في انتظار تفسير لما يراه حوله وبالفعل جاءه يازار وشرح له أن هؤلاء من اليمين المتطرف الذين يعتبرون الأجانب في هذه البلاد مغتصبين لأموالها وخيراتها، وأنهم أحق بهذا منهم لذا فهم يهاجمون الأنشطة التجارية لنا.. ولقد اعتدنا على ذلك كما اعتاد صاحب المحل، لذا يأتي بعمال ليعيدوا المحل كما كان ثم يرسل بالفاتورة إلى المقاطعة التابعين لها والتي بدورها تصرف التعويض المناسب.

صلاة الجمعة

سأل "سامح" نعيم: أين سنصلي الجمعة؟ فأجابه سنصليها هنا ظهرًا. فسأله وهل استأذنت من البروفسير في أن نصليها في المسجد؟ فأجابه نعيم: لم أحاول لظنّي الأكيد برفضه. استأذن "سامح" ونعيم في الدخول للبروفسير وشرح "سامح" له صلاة الجمعة وأنّها مرّة كل أسبوع ويجب على المسلم الالتزام بها، وأن فترة الاستئذان ستكون في حدود ساعة، كما أوضح له

"سامح" أنه من الممكن أن يصلوها كباقي الصلوات في حالة الضرورة.. قال البروفسير أنتما تطلبان ساعة كل أسبوع لأداء عبادتكما ثم تعودان لعملكما؟ قال "سامح": نعم.. قال البروفسير لا مانع مادامت لن تتبعها عبادات أخرى تستلزم الاستئذان باقي الأسبوع.. قال نعيم: لا هو يوم الجمعة فقط.. خرجا من عند البروفسير وسأل "سامح" "نعيم": أين المسجد؟

في قلب مدينة "ملبورن" يقع المسجد والذي يبعد عن المدينة الجامعية حوالي **400** مترًا. كما أن منطقه بري ستون بها مسجد وبها عرب كثيرون.. إذا أين سنصلي يا "سامح".. قال "سامح" في أي مسجد تراه أنت.. اتفقنا.

كان يرتدي بذله جذّابة. لم يكمل الأربعين من عمره. كانت خطبته رائعة، تحدث فيها عن الإسلام في المسجد وخارج المسجد.. وأن الصلاة إن لم تؤثر في أخلاق المسلم فلا صلاة له. وتحدث عن المرأة التي دخلت النار في قطة حبستها وعن الرجل الذي دخل الجنة في كلب سقاه، كان "سامح" منجذبًا لحديثه رغم سماع ذلك من قبل، وبعد انتهاء الصلاة هم "سامح" بالانصراف، فقال له نعيم: انتظر أريد أن أحيّ هذا الشيخ على خطبته الرائعة. اقتربا منه فوجدا الكثير من الناس يحيطون بالشيخ يحيّونه ويسألونه فتراجعا وهمّا بالانصراف، فتوجّه لهما الشيخ بالتحية قائلاً: أهلاً وسهلاً إلى أين؟ لماذا غيّرتما اتجاه سيركما؟ قال نعيم: رأينا حولك الكثيرين ونحن في عجلة من أمرنا.. أنا نعيم جابر من لبنان وهذا سامح قطب من

مصر. قال الشيخ: وأنا عبد البديع رحومه من مصر، من طنطا. أرجو أن تأتيا في أي وقت بعد انتهاء عملكما لنكمل تعارفنا. ودّعا الرجل بعد أن زاد إعجابهما، ليس بخطبته فقط وإنما بشخصيته أيضًا.

نعيم وفيرناندو وابن سينا

كان نعيم منهمكًا حين جاءه فيرناندو يطلب منه خدمة. لم يعره نعيم اهتمامًا، أكمل فيرناندو حديثه: هناك نص مكتوب باللغة العربية وحاولت ترجمته فلم أفلح، و لم أفهم شيئًا من ترجمته الإلكترونيّة فهل من الممكن أن تساعدني في فهمه؟ قام نعيم بفتور شديد وذهب مع فيرناندو وحينها وجد مقالاً مكتوبًا عن ابن سينا. قال نعيم: دعني أولا أُخبرك من هو ابن سينا، وحينما حاول فيرناندو مقاطعته أكمل نعيم كلامه كأنّه لم يسمعه قائلاً: ابن سينا أو الشيخ الرئيس ولد في بخارى عام 370هـ. تحدّث في كتبه عن العدوى والالتهاب السحائي ودوده الإنكلستوما والجمرة الخبيثة. كما تحدث عن السكتة الدماغية وعن المخدرات وكان يسميها المرقدات وتحدث عن الأمراض الجنسية وعن العلاج النفسي.. ومن أشهر كتبه: "القانون" الذي دُرّس في جامعتي مونبيليه ولوفان.. والأعجب

كتبه في تربية الأطفال والتي بدأها من اختيار الاسم إلى أثر الرضاعة في التربية.. أما ما قاله عن العدوى فهو....... أخذ نعيم يكمل المقال وكانت المعلومات السابقة مكتوبة في بدايته كنبذه عن ابن سينا.

المحكمة

حينما خرج ساو من عند القاضي سأله "سامح" ونعيم: ماذا فعلت؟ فأخبرهما أنه سأله عن تفاصيل الحادث، وأخبره أن ينتظر معهما. وبعد فترة قليلة استدعاهم الحاجب لمقابلة القاضي مره أخرى والذي سألهم سؤالاً غريبًا: كم تتقاضون في الساعة؟ تعجب "سامح" من السؤال حتى ظن أنه لم يفهمه، وحينما أجاب نعيم وساو عليه، تأكدت له صحة فهمه، فقد سألهم: كم من الوقت مكثتم هنا؟ فأجابوه قرابة الساعة فأكمل القاضي: إذًا تغيّبتم عن عملكم قرابة الساعتين، ثم كتب ثلاث ورقات، كل ورقة مكتوب فيها عدد الساعات التي سيتقاضون عليها أجرًا.

قال "سامح" لنعيم متعجبًا: أهذا يعني أنهم يعطون الشخص الذي يأتي إلى المحكمة أجرًا بدلا من الذي سوف يخصم منه في عمله؟! هزّ نعيم رأسه بالإيجاب.. قال "سامح": لا تعليق.

توت عنخ آمون

في الطريق بين مسكنه وعمله، لفت نظره محل اسمه توت عنخ آمون وكان في واجهة المحل تمثال لتوت عنخ آمون ذي القناع الذهبي ومكتوب عليه الاسم. وقف أمام التمثال يتفحصه ووجد جملة من الواضح أنها أضيفت إلى التمثال بعد صنعه وكانت (مات شابًا صغيرًا وعمره تسعة وعشرون عامًا)، ظن مصطفى أن صاحب المحل مصري فالمحل قريب في تصميمه من محلات خان الخليلي إلا أنه طراز مختلف فليس فيه الإضاءة الشديدة ولا الواجهات الرخامية ولا الفاترينات الزجاجية بل التمثال والباب والاسم فقط.

دخل المحل فوجد الكثير من التحف المصرية والملابس الفرعونية القديمة بل وكتبًا عن الفراعنة مترجمة للألمانية.. ووجد بالداخل شخصًا بدا من ملامحه أنه غير مصري.

فسأله مصطفى إن كان هو صاحب المحل، وبعد أن أجابه بالإيجاب قال: هناك خطأ في الجملة المدونة أسفل تمثال توت عنخ آمون بالخارج، فلم يعره الرجل اهتمامًا وقال له: عن أي شيء تتحدث، قال مصطفى: عن توت عنخ آمون فإنه لم يمت وعنده تسعة وعشرون عامًا. هذه المرة نظر إليه الرجل نظرة غاضبة وترك التمثال الصغير الذي كان يقوم بتنظيفه وتوجه إلى مصطفى واقترب منه قائلاً: وما الخطأ في المعلومة؟

أجابه مصطفى أن توت عنخ آمون مات وعمره تسعة عشر عامًا وعلى أكثر تقدير بعض الباحثين خمسة وعشرين عامًا، لذا أردت أن أصحح المعلومة.. حينها قال الرجل مستهزئًا: هل كنت جاره، رفيقه، قريبه، أو أحد أفراد حاشيته حتى تتكلم بهذه الثقة البالغة. قالها وهو يضحك ساخرًا، فقال مصطفى بغضب: نعم كنت جاره وقريبه لدرجة أنني أستطيع أن أخبرك أن فصيلة دمه كانت **A**، وأنه كان نحيفًا خمري البشرة، رموشه طويلة مثقوب الأذنين يرتدي حلقًا كبيرًا. هل تريد المزيد؟ كان طوله يتراوح بين **167** و**169** سم، هل تريد المزيد؟ حينما مات كان ضرسا العقل لديه قد ظهرا في فمه قبل وفاته بقليل. لذا أردت أن أصحح لك المعلومة ولكنك لا تريد فأنت تستطيع كتابة ما تشاء ولن يلحظ ذلك أحد. ثم فتح المحل وخرج مزهوًا بنفسه، فقد بُهت الألماني من معلوماته والذي ما لبث أن خرج وراءه مناديًا: أيّها المصري... أيها المصري... انتظر... انتظر. حينها وقف مصطفى قائلاً له في برود شديد: ماذا تريد؟ قال: أريد أن أعتذر لك أولاً وأدعوك لزيارة محلي ثانيًا للتعرف إليك. وجد مصطفى أن هناك متسعًا من الوقت قبل موعد عمله بالمحل فوافق حينها قدم له نفسه قائلاً: أنا توماس ويسموننا هنا أوسيس. فقاطعه مصطفى: عفوًا لم أفهم معنى أوسيس، فأوضح له توماس أنها تعني من ألمانيا الشرقية سابقًا قبل توحيدهما. سأله مصطفى: وكيف عرفت أنني مصري؟ قال له

أولاً من معلوماتك ومن لكنتك ثانيًــا، تعجــب مــصطفى فـ"الموميولوجي" علم موجود في أماكن كـثيرة في العــالم وليس مصر وحدها، ثم إن لكنتي أظن أنها قد تكون شرقية. ولكن مصرية بالتحديد فهذا شيء عجيب. رد توماس عليه: إذا سمّها فراسة. ولكن أخبرني كيف علمت كل هــذا عــن توت عنخ آمون هل أنت قارئ لتــاريخ الفراعنــة؟ قــال مصطفى: أنا دارس وباحث ومتتبع لكل ما هو جديد في هذا المجال وتستطيع بنفسك مراجعة المعلومة التي أشرت إليهــا. ولكنك تجيد الألمانية إجادة تامة، يبدو أنك في ألمانيا منذ زمن طويل، فأجابه مصطفى من قرابة ثلاثة أيام. وحينما انــدهش توماس أخبره أنه ظل يدرس بمعهد جوته في مصر فترة طويلة لدرجة أن كل من حولي كانوا ينــصحونني بــالتوقف، لأن المستوى الذي وصلت إليه يكفيني جدًا إلا أنني أحببت اللغة الألمانية. ولكن أخبرني ما قصتك أنت مع الفراعنة؟ وأخبرني ما هذا الشيء الذي تضعه في هذا الجــوال هنــاك؟ أجابــه توماس إنه ملح، ذهب مصطفى إليه وحينما أخذ حفنة منــه وجده ملح النطرون.ضحك مصطفى قائلاً: ملح النطــرون لابد أنك تريد تجفيف شيء أو ربما تحنيط شيء.. أليــست هذه لفائف كتان؟ يبدو أنك تريد فتح ورشة تحنيط هنا. كان مصطفى يتحدث مزهوًا بنفسه لأنه يعلم جيدًا هذه الأشــياء وفي ماذا تستخدم إلا أن الأمر مع توماس لم يكن كــذلك، فكلما تحدث مصطفى عن التحنيط تغير وجه توماس ولاحظ

مصطفى ذلك متأخرًا فتوقف عن الحديث وسأله: عفوًا توماس هل قلت شيئا أغضبك؟ رد عليه توماس: بالطبع لا ولكن أخبر من خلفك أنك وجدت كل شيء تراه هنا. وأخبرهم كذلك أنهم لن يمنعوني عن الاستمرار. هيا انصرف قبل أن أقتلك. كان مصطفى يظنه يداعبه إلى أن ذهب توماس إلى أحد الأركان وأخذ منه بندقية، حينها هرول مصطفى خارجًا من المحل وهو يسمع توماس يتوعده أنه إذا رآه هنا مرة أخرى فسوف يقتله.

حينما خرج مصطفى إلى الشارع قال بصوت عال: أقسم أنك مجنون، تسبني أولا ثم تدعوني إلى محلك ثانيًا ثم تحاول قتلي. إنك حقًا مجنون.

العطلة

كان الأصدقاء الثلاثة نعيم وساو وسامح في كل عطلة يذهبون لمكان مختلف فملبورن مليئة بالأماكن السياحية الرائعة فتارة يذهبون إلى حديقة ملبورن التي تم افتتاحها عام 1862 وتعد من أفضل خمس حدائق في العالم.. وتارة أخرى يزورون حوض ملبورن للأحياء المائية.. وهكذا كل مرة في مكان مختلف ولكن هذه المرة كانت مختلفة من أوجه كثيرة فلقد كانت دعوة من البروفسير لكل أفراد المجموعة البحثية.

ركب الأربعة ساو ونعيم وفيرنادو وسامح سيارة ساو أما ماري فتركت سيارتها وركبت مع البروفسير وأسرته. كـــان المكان جبل بولر، وهو جبل جليدي تمـــارس عليـــه رياضـــة التزحلق. كان "سامح" يرى ذلك لأول مرة. كان كل فرد من المجموعة معه أدوات تزلج، حتى أن نعيم أحضر أدوات لـــسامح وشجعه على التعلم. سقط "سامح" على الأرض هـــذا اليـــوم كثيرًا إلا أنه في النهاية استطاع إلى حد ما أن يمارس التزلج.

الرجــوع

فجأة أصابته وعكة. لا يدري ماذا حل به. شـــعر بثقـــل شديد في رأسه وأنّ بجسده آلامًا مبرحة، وعنـــدما لاحـــظ مسعود ذلك، أخبره أنه يستطيع الانصراف. شكره مصطفى ورجع إلى بيته، وفي الطريق آثر السلامة ولم يمر من أمام باب بازار توت عنخ آمون وإنما من الجهة المقابلة، والغريب أنـــه حينما كان ينظر ببصره من بعيد تجاه البـــازار إذا بتومـــاس يخرج مسرعًا ويبحث يمينًا ويـــسارًا حـــتى رآه. لا يـــدري مصطفى لماذا شعر كأن أحدًا اتصل به وأخبره فخرج يبحث عنه. أشاح مصطفى بوجهه بعيدًا عن توماس وأكمل ســـيره وكان شيئًا لم يكن وبينما كان يعبر الطريق إذا بسيارة بيضاء

مغلقة من الخلف بصندوق، تقف أمامه فجأة وينفـــتح بابهـــا الخلفي ويترل منه ثلاثة رجال بسرعة ويرش أحدهم مـــادة على وجه مصطفى، بينما الآخر يقوم بشل حركته ويتعـــاون الثلاثة في قذفه داخل السيارة. كان مصطفى قد بدأ يغيـــب عن وعيه وآخر ما رآه وجوه خاطفيه.

مشكلة مالية

لم يتصل شاكر بسامح في الموعد المتفق عليه بينهما وحينما اتصل "سامح" بالبيت واستفسر عن عدم رد شاكر عليه أخبرته والدته أنها قلقة عليه أيضًا خاصة أنه اتصل بها وأخبرها أنـــه في رحلة عمل إلا أنها قلقة عليه، فأكد عليها "سامح" أن تخـــبره بالاتصال به في أقرب وقت.

حينما ذهب إلى المعمل أخذ يمارس عمله وهو قلـــق علـــى شاكر وحينما انتهي العمل اتصل على محموله فلم يـــرد عليـــه أيضًا، فاتصل بالبيت فردت عليه والدته جزعة وخائفة وأخبرته أن مجموعة من الرجال جاءوا وسألوا عليه وأبلغوها أنه مـــدين لهم وإن لم يدفع ما عليه سيجد ما لا يسره. ألح "سامح" على أم شاكر أن تخبره بمكانه إن كانت تعلمه والتي أخبرته أنه اتصل بها من عند عمته بالإسماعيلية وأعطتة رقم تليفونهـــا. واتـــصل

"سامح" على الفور بعمة شاكر وبعد إلحاح رد عليـــه شـــاكر فأخبره "سامح" أن يذهب إلى أي مكان فيه إنترنت ويحدثه.

كنت أقوم بالاستيراد عن طريق وســـطاء ثم أصـــبحت في الآونة الأخيرة أستورد مباشرة. ولكني تعرضت لعملية نـــصب وأصبحت مدينًا بـــ 50000جنيه، غير رأسمالي الذي ضاع، ولي الآن قضية مرفوعة ضد الشركة التي قامت بالاحتيال عليَّ إلا أن الله وحده يعلم متى سيتم الفصل فيها.

كان شاكر يتحدث يائسًا بصوره لم يعهدها عليه "سامح" من قبل والذي بدوره أخبره أنه سيتصرف ويرسل لـــه مـــالاً وسوف يقف بجواره إلى أن تنتهي أزمته. شكره شاكر علـــى الكلام الطيب وإن كان في قراره نفسه يعلم جيدًا أن "سامح" ليس بيده شيء ليساعده به.

أكد "سامح" عليه أن يتحدث معه الأربعاء المقبل وأن بعد العسر يسرًا .. دائمًا وأبدًا..

اتصل بعدها بنعيم مباشرة وحينما قابله، أخبره أنـــه يريـــد عملاً بعد انتهاء وقت الدراسة، فتعجب نعيم وشرح لسامح أن هذا سوف يؤثر عليه كثيرًا في دراسته. وإن كان يحتاج مبلغًـــا من المال فهو يستطيع أن يقرضه ما يريد، إلا أن "سامح" أصر، وحينها أخبره نعيم أن له علاقة طيبة بصاحب مطعم، وسوف يفاتحه في الأمر ولكنه يرجوه أن يفكر مره أخرى.

اختطـاف

حينما أفاق وجد شيئًا يضغط على عينيه وحبلاً يقيد يديه من الخلف. كان المكان تملؤه رائحة غريبة. هو يعرف هـــذه الرائحة جيدًا ولكن يبدو أن الضغط العصبي الذي هو فيـــه جعله لا يميز تلك الرائحة. دخل عليه اثنان وأزالا العـــصابة من على عينيه وحينما نظر إليهما وجدهما رجلين ضـــخمي الجثة، ثم تلفت حوله فوجد نفسه في بهو كبير خـــشبي بـــه إضاءة جيدة لا تتناسب مع قدم المكان. أخذ ينظر حولـــه في خوف شديد ثم خاطبهما: من أنتما وماذا تريدان مني؟ لمـــاذا اختطفتماني؟ لم يجيباه وإنما ظلا هكذا بلا حراك وبلا كـــلام. كان مصطفى قد بلغ به الخوف مبلغه حتى أنه طلب منـــهما دخول الحمام ولكنهما لم يردا عليه. ظلا هكـــذا صـــامتين. حينها قال لا شيء أجدى في مثل هـــذه المواقـــف منـــه.. القرآن.. أخذ يرتل في سره دون الجهر إلا أنه ورغما عنـــه كان صوته يعلو بالقرآن مرتجفًا إلى أن دخل عليـــه تومـــاس صاحب بازار توت عنخ آمون. فصرخ مصطفى: أنـــت. إذا أنت وراء اختطافي، لماذا فعلت بي ذلك؟ ما الذي صنعته لك حتى تختطفني؟ أكل هذا لأنني قلت عن توت عنخ آمـــون لم يكمل الثلاثين عامًا. يا سيدي أنا آسف توت الله يرحمه مات وعنده خمس وتسعون سنة، بل وقبل أن يموت أوصاني قائلا: سلم لي على توماس خير السلام. لم يدر مصطفى مـــا نوبـــة

السخرية التي أصابته في هذا الموقف، هل هي قراءة القرآن؟ هل لأنه علم من اختطفه فبدأ يهدأ؟ المهم كـان يقـول في نفسه: واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك... وما أخطأك لم يكن ليصيبك.اقترب توماس منه وسأله: من أرسلك هنا؟ هل جيف أم الشرطة؟ إن أنت صدقتني القول فلن أؤذيك بل قد أجعلك عميلاً مزدوجًا تقبض مني ومنهم. أما إذا فكرت في التلاعب بي وادعاء أنك لا تعرف شيئًا فببساطة سيكون مصيرك مصير توت عنخ آمون، رد عليه مـصطفى: دعـني أصحح لك هذه المعلومة أيضًا ثم قال بالعربية هي موتـة ولا أكثر، ثم تابع توت عنخ آمون لم يتعرض للقتل، والفتحـات التي وجدوها بجسده هي فتحات التحنيط، أما إجابة علـى سؤالك فأنا– وصدق أو لا تصدق– لا أعلم من هو جيـف هذا ولم أر الشرطة الألمانية في حياتي ولم أكمل في بلدكم هذا شهرًا ولا حتى أسبوعًا، وتستطيع التأكد من جواز سـفري. وفي هذه المدة البسيطة تعرض المحل الذي أعمل فيه للتكسير والتخريب وتعرضت أنا للاختطاف فيبدو أنه لا عيش لي هنا في ألمانيا ومن الممكن أن ترسل معي أحد رجالك إلى الـشقة ليحضر جواز سفري والذي..... سكت مصطفى حين وجد أحدهم يدخل بجواز سفر ويعطيه لتوماس الذي قام بتصفحه ثم قال لمصطفى: صحيح أن تأشيرة دخولك لألمانيا تثبت أنك حديث عهد بها، لكن لعلك تتبع شرطة بلد أخـرى مـصر مثلا. رد عليه مصطفى يبدو أنك تشاهد الكثير من الأفـلام

البوليسية. قال توماس: صدقني أنا متحير في أمرك ولكني حقًا لا أدري. إمّا أنّك لا تتبع أحدًا أو أنك شديد الذكاء، على كل فإن أي شخص غريب يدخل هذا المكان ويراه، مصيره القتل. عفوًا سواء كنت بريئًا أو مذنبًا.. اقتلوه.. ثم هم بالانصراف.. كان مصطفى في حالة لم يتعرض لها في حياته.. جسمه يتصبب عرقًا غزيرًا وعيناه تكادان تقفزان إلى الخارج وجسمه بارد إلى أقصى حد. حينها نادى على توماس وقال له: أليس من حقي أن أعلم أولا سبب قتلي؟ قال توماس: نعم ليس من حقك ولكن لا بأس من إخبارك فلا أظن أن الأموات يتكلمون.. نحن لنا أنشطة خاصة بالتحنيط وهي سرية للغاية وصدقني حين أقتلك فهو ليس أمرًا شخصيًا فأنا فعلاً أعجبت بشخصيتك ولكنك تعلم شعارنا هنا في ألمانيا كل شيء كما يجب أن يكون.. هنا قاطعه مصطفى: ولكنّي أستطيع إفادتك في أي شيء خاص بالتحنيط فهذا مجال بحثي ودراستي وقمت بتحنيط حيوانات من قبل.. لعلك تستطيع أن تضمني إليكم فأكون منكم.. صدقني أنا أعلم كل شيء عن التحنيط وتستطيع أن تختبرني بنفسك، بل حتى انظر بنفسك في جواز سفري ستجدني حاصلاً على ليسانس آثار قسم تحنيط!!! بالطبع هم لم يكتبوا قسم تحنيط في الجواز ولكنها في الشهادة في مصر وتستطيع أن ترسل إلى مصر لتت..... قاطعه توماس: سأفكر في الأمر ولا بأس من تأجيل قتلك فأنا فعلاً عندي مشكلة تواجهني في التحنيط لعلك

تستطيع أن تتعامل معها ولكن صدقني إن كنت تتلاعب بي فسأجعلك عبرة لكل من يحاول التلاعب مع توماس. وحينما تركه وهمَّ بالانصراف نادى عليه مصطفى: طلب أخير من فضلك..الحمّام.. وبسرعة.

طلب عمل

في اليوم التالي أخبر نعيم "سامح" أنه لم يجد لدى صاحب المطعم وظيفةً تناسبه، فقد تمنى له أن يعمل كاشيرًا أو في أي وظيفة إدارية، لكنه لم يجد عنده سوى وظيفة داخلية، أي عامل بداخل المطبخ، فرفض نعيم إلا أن "سامح" أخبر نعيم بقبوله العمل، فأخذ نعيم يشرح لسامح طبيعة العمل من غسل للأطباق والتنظيف وما شابه، وأن ذلك سيكون مرهقًا جدًا خاصة بعد يوم عمل يبدأ من السادسة صباحًا. إلا أن "سامح" شكر نعيم وأفهمه أنه يريد هذا العمل، حينها قال نعيم أن الرجل سيعطيه 6 دولارات في الساعة وقد حاول معه أن يزيد الأجر فلم يفلح. وأن عمله سيكون من الساعة السادسة إلى الثانية عشرة مساءً.

حسبها "سامح" 6 دولارات في 6 ساعات تعطينا 36 دولارًا، وفي الشهر 936 دولارًا يكملها 1000 ويرسلهم

إلى شاكر كل شهر. لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا. ظل نعيم يرجو "سامح" أن يفكر ويعيد التفكير قبل أن يتصل بصاحب المطعم ولكن "سامح" قال له: توكلت على الله وقبلت العمل.

شقة مصطفى

فتح عينيه فوجد نفسه في شقته، نظر حوله كثيرًا ثم أخذ يجول في الشقة. رباه هل كان كل ذلك حلمًا؟ لا، لا أصدق.. أسرع إلى حقيبته فوجدها مكانها.. هل كان حلمًا؟ شعر بألم في معصميه وحينما نظر فيهما وجد آثار التوثيق بالحبال فقال: هل هذا حلم أيضًا؟ وفي جواز سفره وجد ورقة مكتوبًا فيها "أنا في انتظارك غدًا في العاشرة صباحًا في هذا العنوان وحذار من القيام بأي خطوة غير عاقلة". وبأسفل الورقة وجد العنوان.

اتصل بالمحل واعتذر عن غيابه بالأمس ووعدهم بالعودة إلى العمل يوم الاثنين. ثم جلس مع نفسه يفكر.. هل يذهب للقاء توماس؟ هل يبلغ الشرطة؟ هل يأخذ حقيبته ويسافر في أول طائرة إلى مصر؟ لا يدري ماذا يفعل! هنا اتصل به كمال صديقه يدعوه لقضاء العطلة معه، فاعتذر مصطفى

بلباقة على وعد بقضائها معه في الأسبوع القادم بـإذن الله.
أراد مصطفى أن يحكي لكمال ما حدث معه ولكنه خشي أن يتسبّب في إيذائه.

الحديقـة

في الصباح قرّر الذهاب إلى العنوان وفي الميعـاد المحـدّد. كان المكان حديقة كبيرة وكان اليوم مشمسًا والحديقة مليئة بالأسر. وقف منتظرًا فلم يأته أحد، وبعد فترة من الانتظـار قرّر العودة، وحينما همّ بالرجوع وجد توماس في وجهـه. كان وحده، وقبل أن يسأله مصطفى أي شيء أخبره توماس أنه كان يريد التأكد من أنّه غير مراقب.

"هيا لنتمشى قليلاً فالطقس اليوم رائع"، وحينما سـأله مصطفى: أين رجالك؟ أجابه: موجودون ولكنك لا تراهم. قال مصطفى: لقد فتشت كثيرًا عن أجندتيّ الزرقـاء فلـم أجدها فهل..... هنا أخرجها له توماس من طيات ملابسـه وهو يقول له: لقد قمنا بترجمتها.

مجهود رائع وستفيدنا كثيرًا بلا شك كما أنّهـا تؤكـد صدق كلامك، فأنت فعلا باحث في هـذا المجـال. سـأله

مصطفى: أخبرني يا توماس ماذا تريد مني تحديدًا؟ أجابـــه: لا بل أنت ماذا ستقدم لي فأنت اشتريت عمرك مقابل هـــذا أم أنك رجعت في اتفاقنا؟ أجابه مصطفى: لا بالطبع لم أرجـــع عن كلامي ولكن ما الذي تريدني أن أشاركك فيه حتى أعلم ما أستطيع تقديمه. قال: ستعلم في وقتها ولكن كل ما أريده منك أن تعلم أننا نراقب تحركاتك وسكناتك وأي خطـــوة خاطئة سيكون ثمنها غاليًا جدًا ليس في ألمانيا فقط بـــل وفي مصر أيضًا وتحديدًا في حي الجمالية. أظنك تفهمني جيـــدًا، والآن هيّا لنبدأ عملنا.

دار المسنين

حينما كان منهمكًا في المعمل جاءت مكالمـــة للبروفـــسير فظهر عليه القلق الشديد وحينما سأله "سامح" أخبره أن والده مريض جدًا، ثم شرع في استكمال عمله كأن شيئًا لم يكـــن، حينها قال "سامح": ألن تذهب لزيارته؟ فرد عليه: أنت تعرف أن هذا وقت عمل وبعد الانتهاء سوف..... قاطعه "سامح": ولكن هذا والدك، ولابد أن تذهب الآن فهو مريض جدًا كما تقول واسمح لي أن أذهب أنا الآخر معك. بعد إلحـــاح مـــن "سامح" وافق البروفسير على ذهابه معه. وفي الطريـــق ســـأله "سامح": هل والدك بالمستشفى أم بالبيت؟ أجابه البروفسير: لا

بل في دار المسنين. لم يتعجب "سامح" وقال في نفسه نحن أيضا في مصر لدينا الكثير من دور المسنين وحينما وصلا إلى دار المسنين كان مكانًا رائعًا .. مساحة خضراء كبيرة بها طاولات وكراسي والبوفيه وأجهزة التليفزيون تملأ أركان المكان وبها أنواع عديدة من الملاعب وصالة ألعاب رياضية بالإضافة إلى عيادة متخصصة في أمراض الشيخوخة.. ولكنها في النهاية دار للمسنين.

حينما وصلا إلى والد البروفسير، وجده كهلاً قد تعدى الثمانين من عمره تظهر عليه علامات المرض والإرهاق الشديد.. سرح "سامح" بخياله، ألم تشفع كل وسائل الراحة والرفاهية الموجودة بالدار في الوقوف أمام المرض وأمام الشيخوخة.. إنها إرادة الله الذي خلقنا من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم من بعد قوة ضعفاً وشيبة. فالرجل المسن يعود طفلاً كما كان في بداية حياته يحتاج إلى من يطعمه ومن يحمله بل وأحيانًا من يدخله دورة المياه.. مع أن الفارق بين رعاية الطفل ورعاية الوالدين كبير. فمن يرعى أطفاله يرعاهم بفطرة الله التي فطر الناس عليها أما من يرعى والديه فهو يرعاهم بما أملته عليه تربيتهم له، وخوفه من ربه أن يكون عاقًا لهما. كل هذا خطر بباله وهو ينظر لهذا الرجل المريض بالفراش. قدم البروفسير "سامح" إلى والده قائلاً: هذا "سامح" من طلاب البعثات الدراسية لدينا في الجامعة وهذا جاك والدي.

قال جاك: أنت عربي، قال "سامح": نعم، حينها قال جاك بالعربية السلام عليكم، كيف حالك آمل أن تكون سعيدًا في أستراليا.. تعجب "سامح" قائلاً: أين تعلمت العربية يا سيد جاك؟ فقال: أنا مكثت عندكم ثمان سنوات، قال "سامح": في مصر، فقال له: لا بل في السعودية في المنطقة الشرقية في مكان يسمى أرامكو.. كنت أعمل مع شركة بترول أمريكية.. لقد كانت من الأيام الجميلة في حياتي.. ولقد ذهبت لمصر أيضًا .. يبدو أنك مصري، قال "سامح": نعم.. فأكمل جاك: إن مصر بلد جميل، لقد ذهبت للأهرامات وأبي الهول.. أليس اسمه كذلك أبو الهول؟.. رد عليه "سامح": نعم مازال اسمه أبو الهول لم يغيِّره أحد. كان آدمز ينظر في ساعته وجاك يتحدث إلى "سامح" حديثًا لا ينقطع حيث قال: لقد ذهبت إلى الغردقة أيضًا إنها بلد جميل. أخذ "سامح" كرسيًا وجلس بجواره. وظهرت علامات الضيق على البروفيسور وهو ينظر في ساعته.. أكمل جاك حديثه: إنها بلد رائع وأكيد أنها أصبحت الآن أجمل من ذي قبل.. لقد حدثت معي ومع زوجتي قصة هناك لا أنساها. كنت وزوجتي نركب سيارة أجرة في مدينة الغردقة وبينما كان السائق يسير إذا به يدهس بسيارته كلبًا من كلاب الشوارع.. لم يعر السائق ذلك أي اهتمام وأكمل سيره وحينما نظرنا أنا وزوجتي خلفنا إذا بالكلب المصدوم قد دُهس

تمامًا في منظر بشع وكان هناك مجموعة من الشباب يقفون على باب مطعم يطلبون من بعضهم إزالته من الطريق إلا أن أحـــدًا منهم لم يفعل من مظهره المنفّر حينها بكت زوجتي بكاءً مريرًا وطلبت من السائق أن يعود أدراجه ثم نزلت من السيارة ومعها قطعة من القماش حملت بها جثة الكلـــب ووضـــعتها جانبًـــا وأخذت تبكي.. كان قلبها رحيمًا عطوفًا.. لا أدرى من يشبه هذا؟ وأشار إلى آدمز الذي نظر إليه في حنق وغضب ولكـــن جاك أكمل كلامه: أتعلم أنه لم يأت لزيارتي منذ ثلاثة أشـــهر وآخر مرة زارني فيها كانت عشر دقائق قضى معظمها يتحدث مع المشرف بشأني. قال "سامح": البروفسير آدمز لديه الكـــثير من المسئوليات، صدقني أنا أعمل معه وأعلم ذلك جيدًا فهـــو يتمنى زيارتك ولكنها مسئولياته الكثيرة، وسأكون شـــاكرًا إذا سمحت لي بزيارتك في العطلات، ففرح جاك كثيرًا وأخبره أن لديه الكثير ليحكيه له عن أيامه في بلاد العـــرب، ورجـــاه أن يصنع له معروفًا.

عاد "سامح" مع البروفسير، لم ينطق أي منهما ببنت شفة، كان كل منهما يفكر مع نفسه أما "سامح" فكـــان يفكـــر في طلب جاك منه أن يأتي لزيارته مـــصطحبًا حفيدتيـــه - ابنتـــا البروفسير-لأنه منذ سنة وهو يطلب ذلك من آدمز و لم يفعل.

أما ما كان يشغل بال البروفسير فهو لماذا يفعل "سامح" هذا معه ومع والده هل يريد منه خدمة؟ أم هي طبيعـة شخـصية تخدم الناس قدر استطاعتها. وفي نهاية الطريق قبل الوصول إلى الجامعة قال "سامح" للبروفسير: أليس من العجيب أننا نـدرس طائر الكيوي المترابط اجتماعيا لأقصى حـد دون أن نتأمـل ذلك.

المزرعـة

سارا بالسيارة قرابة الساعة والنصف حـتى دخـلا إلى الريف الألماني ووصلا إلى مزرعة نائية يتوسطها بيت خـشبي كبير وبعد أن فتح توماس الباب ودخل معه مصطفى وجده بيتًا واسعًا كبيرًا يتكون من دورين، العلوي به الكـثير مـن غرف النوم والأرضي بهو كبير به حمام ومطبخ وقاعة كـبيرة بها تلفزيون.

اصطحب توماس مصطفى متوجهًا إلى باب خشبي صغير فوجده يفتح على القبو بالأسفل وحينما هبط شـمّ نفـس الرائحة التي شمّها بالأمس حينما كان مخطوفًا. سارع توماس بالقول: طبعًا أدركت أنك كنت هنا بالأمس. كانت هنـاك

طاولات كبيرة وتلك الرائحة الغريبة تملأ المكان. كان على إحدى الطاولات حلقة معدنية كبيرة تكفي جسم إنسان وهذه الحلقة مثبتة بالجوانب وتستطيع أن تحركها للأمام والخلف ورأسيًا وأفقيًا بسهولة. ووجد أيضًا كمية كبيرة من البصل ونشارة الخشب ولفائف كبيرة فعلم مصطفى أنها من الكتان وعندما سأل عن باقي الأدوات والدهانات الأخرى أخبره توماس أن منها ما هو موجود الآن، وهناك ما يتم استكماله وأن على مصطفى أن يطلب إجازة من عمله بمحل الملابس أو حتى يستقيل حتى يتفرغ للعمل معهم وسيكون العائد مجزيًا له. حينها سأل مصطفى: إذًا ستقومون بتحنيط أحد الأشخاص وتريدني أن أشارك معكم... وأثناء عملنا أجد الشرطة تحيط بالمكان وتعتقلنا وأدخل السجن، إذًا عليّ أن أختار بين القتل أو السجن أليس كذلك؟

قال توماس: لا، بل أخيرك بين القتل وعمل قانوني مائة بالمائة ستجني من ورائه الكثير من المال.. وكل ما هو مطلوب منك السرية. قال مصطفى: قانوني ومائة بالمائة؟!. أجابه توماس: نعم هذه أوراق شركتنا عليها الموافقات الحكومية على تحنيط الجسد الآتي من الهند، والذي يُحفظ في الثلاجة الآن إلى أن نبدأ في عملية تحنيطه ثم نعيده إلى أهله..

قال مصطفى متعجبًا: إذا كان العمل قانونيًــا كمــا تقــول فلماذا كل هذا الرعب والتهديد والاختطاف؟ رد تومــاس: تقصد التهديد بالقتل؟ نحن لم نكن لنقتلك بأي حــال مــن الأحوال ولكنّي كنت أريد معرفة من ورائك ومن أرسلك. فحينما أعلنّا عن افتتاح شركتنا لتحنيط الموتى وأعلنّا ذلــك عبر الإنترنت وبدأت العروض تأتينا من أماكن متعددة بدأت أيضا جهات كثيرة تحاول التلصص علينا والوصول إلى مــا نحن بصدد القيام به.. جهات كثيرة، عصابات، شرطة، حتى جهات علمية يهمّها ما نقوم به لذا فإننا نستعين بــشركات أمن لحماية عملنا بل وأيضا لدينا أفراد أمن لشركتنا لتــأمين سير العمل، قال مصطفى: عملكم قانوني وعملية التحنــيط موجودة في الكتب وموجودة لدى الكثير من العلماء الذين قاموا بها من قبل فلماذا هذه السرية؟ أجابه توماس: وكالــة ناسا الفضائية عملها قانوني وعلم الفضاء موجود بالكتــب وموجود أيضًا لدى الكثير من العلماء داخل وكالــة ناســا وخارجها فلماذا عملهم سري؟ لماذا لا يسمح لهــم بزيــارة أهلهم إلا على فترات طويلة؟ لماذا لا يسمح لهم بالحــديث عن عملهم مع أي فرد؟ على كلٍ نحن سنبدأ عملية التحنيط بعد غد، فإن كنت ترغب في التأكد من قانونيــة الــشركة

فهذه نسخة من الأوراق، أما ما قلته لك عن سرية عملنا فهذا ليس أمرًا اختياريًا وأضراره قد تنعكس عليك كما أسلفت لك ليس هنا في ألمانيا، فأكمل مصطفى: بل في مصر أيضًا قلت لي هذا من قبل.

تسلمه العمل

في تمام السادسة إلا ربع كان على باب المطعم ليتسلم عمله. وما إن دخل إلى المطبخ حتى تذكر كلام نعيم. إن من يرى المطاعم من خارجها لا يتصورها من الداخل. بدأ عمله في غسيل الأطباق وتنظيف المكان، وظل هكذا حتى الساعة الثانية عشرة مساءً. إنه عمل مرهق جسديًا ولكن إرهاقه النفسي أكثر بكثير. كان يجلس إلى جهاز الكمبيوتر لكي يتحدث إلى شاكر وهو يتحسس رجليه.. كأنه لا يشعر بهما.. وكان النوم يغالبه بشدة إلى أن دخل شاكر غرفة المحادثة فسأله "سامح": هل هناك جديد؟ فأخبره أنه لم يحدث شيء جديد وأنه في انتظار فرج الله عليه. أخبره "سامح" بعمله المسائي وأنه سيرسل له ألف دولار أسترالي شهريًا يستطيع أن يشارك بهم في جمعية بخمسة آلاف جنيه شهريًا ليستلم منها خمسين ألفًا

ويتخطى هذه الأزمة. تحدث شاكر كثيرًا عن أهمية الدكتوراه، فتركه "سامح" يتحدث ثم قال له في النهاية: لو كنت مكاني لفعلت أكثر من ذلك. أما الدكتوراه فهي بالنهار، لم يمسها أحد. والعبد في التفكير والرب في التدبير كما كانت أمي تقول دائمًا.

البروفسير لا يوافق

أصبح كل من حوله يلاحظون علامات الإرهاق الشديد عليه. كان يتفانى في دراسته رغم تعبه. استدعاه البروفسير مخبرًا إياه عمّا لاحظه عليه وبعد تردد أخبره "سامح" بالسبب. هنا ظهر علي وجه البروفيسير الغضب وعلا صوته تدريجيًا قائلاً له: أنت هنا للدراسة فقط وليس للعمل وما فعلته ضد اللوائح والقوانين ولن أقبل أن يقوم أحد بكسرها. أخذ "سامح" يؤكد أن ذلك لن يؤثر على دراسته وأنه يستطيع متابعة ذلك بنفسه، إلا أن رد فعل البروفسير لم يكن متوقعًا ولم يتخيّله "سامح" حيث هدده إما الدراسة وإما العمل وحينئذ يكون الترحيل إلى بلده، فخرج "سامح" من عنده نادمًا أنه أخبره. لماذا لم أخبره أنني مريض أو لا أستطيع النوم أو أي شيء آخر؟ ربساه لقد أصبح شاكر في كفة والدكتوراه في كفة أخرى. ماذا أفعل الآن؟ بينما كان يفكر أرسل البروفيسير في طلبه وسأله: لماذا

تريد العمل بعد الدراسة؟ شرح له "سامح" الأمر وحينما علم البروفيسير بالسبب صمت قليلاً ثم قال: لن أغير قراري بشأن عملك في المطعم.

وفي اليوم التالي أرسل في طلبه قائلاً: أنا أستطيع أن أتقدم لإدارة الجامعة لكي تعمل حارس أمن داخلي بالجامعة بعقد لمدة ستة أشهر وسيكون ذلك مريحًا لك عن عمل المطعم، كما أنك تستطيع أن تذاكر ليلاً. سُر "سامح" كثيرًا هذا وشكر البروفسير عليه وحينما سأله البروفيسير: ماذا سيصنع مبلغ صغير كهذا لصديقك؟ أخبره أن فارق العملة كفيل بأن يجعل لهذا المبلغ قيمة في بلده.

خرج من عند البروفسير سعيدًا جدًا فهو عمل أكثر راحة وأكثر دخلاً (1200 دولارًا)، وسعيد أيضًا باهتمام وتفهم البروفسير له. وحينما خرج وجد ماري تجلس وحيدة ويظهر عليها الحزن. فسألها عن سر ذلك فأخبرته أنها مشاكل شخصية وأنها تشكر له اهتمامه بها.

التأكد من الأوراق

حينما عاد إلى بيته لم يكن زميلاه الأتراك به، مع أنهما في هذا الوقت يكونان قد أنهيا عملهما. لم يشغل باله كثيرًا لأن عقله كان مشغولاً بشيء أهم، هذه الأوراق القانونية

والرسمية كما يدّعي توماس. كيف له التأكد منها؟ إنّ كـــل ورقة عليها ختم الجهة التي قامت بالموافقة، لذا فالوصـــول لعنوان كل جهة والتأكد أمر يسير، ولكـــن هـــذا مـــشوار طويل.

رنّ جرس الهاتف.. فوجده كمال حينها قال مـــصطفى: اتصلت في وقتك، فقال كمال: أخبرني لماذا رفضت قـــضاء العطلة معنا؟ هل ما زلت تشعر بأنك ضيف ثقيل؟

رد مصطفى: دعك من كل هذا، أريدك في أمر ضروري ومهم جدًا. حاول كمال أن يعرف ما الأمر في الهاتف فلـــم يقبل مصطفى، وقال له: لابد أن نتقابل في مكان عام وليس عندك بالبيت. اتفقا على الكافيتيريا الموجـــودة علـــى أول الشارع الذي يسكن فيه كمال، دخل كمـــال الكافيتيريـــا وتلفّت حوله يمينًا ويسارًا حتى وجد مصطفى وحينما جلس إليه سأله في لهفة وخوف.. ماذا حدث هل أنت بخير؟

شرح مصطفى لكمال ما حدث له بدايـــة مـــن عمليّـــة الاختطاف إلى العرض الإجباري الذي قدّمه توماس له، وأكد له أنهم الآن يراقبونه. حينها اعتلى وجه كمال الخوف وقال له: لا حل لهذا الأمر سوى الشرطة. سأقوم الآن كأني أقصد

دورات المياه ثم أتصل بالشرطة لتأتي وتصطحبنا إلى القسم وهناك تحكي لهم عن كل ما حدث معك وهم سيتولون الباقي. حتى ولو كلفك هذا رجوعك إلى مصر. قال مصطفى: هذا ما خطر ببالي ولكن فكر قليلاً معي إذا كانت هذه الشركة قانونية بالفعل وكل ما في الأمر هو السرية فقط، فأنا أريد هذا العمل بشدة لسببين، الأول: هذا مجال دراستي والمجال الذي أتمنى كما تعلم أن أعمل فيه منذ زمن والثاني: أن عائده المادي سيكون كبيرًا كما أخبرني توماس... قاطعه كمال: ولكني أخشى أن يكون هناك خطر على حياتك.. فالذي يقوم بالاختطاف قد يفعل أي شيء آخر. على كلٍ سأحاول التأكد من قانونية هذه الشركة ولكن أرجو أنَ يكون اسم الشركة معلومًا لديك حتى أستطيع أن أسأل عنها. قال مصطفى: لا بل أكثر من ذلك، هذه نسخة من أوراق الشركة لتتأكد من صحتها. قال كمال: لقد وفرت عليَّ الكثير، غدًا صباحًا بإذن الله أخبرك الخبر اليقين. ولكنّي أريد سؤالك: هل قرّرت فعلاً القيام بهذا العمل معهم؟ رد مصطفى: نعم، إذا كانت الأوراق سليمة.

بكاء ماري

كان من إرهاقه يحلم بالنوم وكان عزاؤه في ذلك أنه قريبًا سيترك العمل بالمطعم، حينها أراد أن يستريح قليلاً فـنزل إلى قاعة التفكر فهو لم يدخلها بعد المرة الأولى التي كانت مع نعيم وحينما دخلها وجد ماري تبكي وكانت تجلس وحيدة، فاعتذر "سامح" عن قطع خلوتها وسرعان ما تركها وصعد إلى المختبر.

وفي فترة الغداء ذهبت إليه ماري متسائلة عن سبب عدم دخوله للقاعة، فأخبرها أنه يعلم أنها لا تحب أن يتدخل أحد في حياتها الشخصية، وهذا ما قالته بالأمس. حينها أخبرته ماري أن هذه الفكرة صحيحة فنحن هنا لا نحب أن يتدخل أحد في حياتنا الشخصية ولكني أود أن أعرض عليك مشكلتي إن لم يكن لديك مانع، فردّ "سامح" بالطبع ليس لدي أي مانع.

رد كمال

جلس مصطفى طوال الليل في الشقة وحيدًا لا يدري أين ذهب يازار ومحمود. أدرك أنه لن يستطيع النوم فخرج إلى الشرفة قائلاً في نفسه فليأت النوم متى شاء. رباه إذا كانت

هذه الشركة صحيحة فسأقوم بالمشاركة في تحنيط أحد الأجساد... سأكون... ماذا سأكون؟ سأكون إخصائي تحنيط... يا الله إخصائي تحنيط... لطالما تمنيت هذا الاسم. أستطيع عندها أن أثبت لكل من عاب علي اختياري لكلية الآثار أنني كنت محقًا بل وأصبحت إخصائي تحنيط.

استيقظ على صوت التليفون. كان المتصل كمال. رد عليه في لهفة: خيرًا. قال: خيرًا إن شاء الله كله تمام قابلني في نفس المكان. وحينما تقابلا أخبره أن الأوراق سليمة وأنه راجع الجهات الحكومية وتأكد من ذلك بنفسه، وأن الشركة بانتظار أول عمل لها، جسد سيأتي من الهند، ورأى بعينه أصل المستند الخاص بموافقة أهل الميت على تحنيطه. لذا إن كنت قد استخرت الله ونويت العمل معهم فتوكل على الله، وإن كنت أرى أن تتفق معهم على المبلغ الذي سوف تتقاضاه منهم وأرجو أن تعلمني بأخبارك أولاً بأول عدا المعلومات السرية حتى لا تعرض نفسك للخطر.

الراتب الأول

أكمل شهرًا بالمطعم وقبض راتبه واستأذن من صـــاحبه في ترك العمل وشكره.

أسرع وأرسل 1000 أسترالي إلى شاكر والذي أخـــبره بدوره أنه وجد جمعية وسيقبض فيها الشهر الرابـــع. أعلمـــه "سامح" أنه من الشهر القادم سوف يكون المبلغ 6000 جنيه بدلاً من 5000 لأنه وجد عملاً جديدًا فقال له شـــاكر: لا بل ترسل 5000 فقط وتترك الباقي لك فأنت أيضًا تحتاج إلى مصاريف، فرد عليه "سامح": لا بـــل 6000 لـــك فهـــذه الوظيفة أجرها –أيًا كان– من نصيبك، أم أنـــك تريـــدني أن أسرقك؟ المهم لابد أن توازن أمورك جيـــدًا حـــتى تـــستطيع الاستفادة من مبلغ الجمعية. والآن هل أنت في مزاج يسمح لي بأن أقص عليك مشكلة ماري زميلتي في العمل، قال شـــاكر: نعم في أحسن مزاج قل ما تريد.

كانت ماري مرتبطة بصديق لها منذ سنوات وكان يريـــد إنجاب أطفال وهي لا تحبذ ذلك متعلّلة بعملها وحينمـــا بـــدأ العمر يتقدم بها أحست بمشاعر الأمومة تتفجر بداخلها فكانت تلاعب الأطفال في أثناء سيرها في الشارع وتـــشترى الهـــدايا لأبناء أقربائها. وحينما أخبرت كلارك صديقها بذلك تعلّـــل بأنه ترقى في عمله ولا يريد تعطيل نفسه بأولاد. ظنت في بداية

الأمر أنه يعاندها إلا أنها تأكدت من صدق كلامه. فلم تـــرد عليه بكلمه وتركته وانصرفت.

قال شاكر: هذه النوعية من المشاكل لم ترد عليَّ من قبـــل فلا أدري كيف لها معاشرة رجل أربع سنوات بـــدون زواج وتريد الإنجاب. أرى أنها لابد لها من وقفة حازمة معـــه، إمـــا الزواج والإنجاب وإما إنهاء العلاقة.

الرغبة في الحياة... جاك

احتضن حفيدتيه بشدة. كان يحلم بهذه اللحظة مـــن مـــدة طويلة قال لسامح لابد أنك ألححت على آدمز كـــثيرًا لكـــي تحضر لي البنتين، قال "سامح": على العكس هو الذي اتصل بي لكي أحضر لك البنتين. كان "سامح" يكذب وكان جاك يعلم أنه يكذب. لكنه لم يعلّق وقام من على فراشه وأخـــذ البنـــتين واشترى لهما الكثير من الحلوى وجلس معهمـــا في الحديقـــة وأخذوا يلعبون. رباه أهذا الذي كان مريضًا منذ قليل. قالهـــا "سامح" وهو يتابع الجد جاك يجري مع حفيدتيه وكأنه في مثل سنهم. قال له الطبيب أن البنتين فعلتا ما لم تـــستطع الأدويـــة والعقاقير فعله. إنها الروح المعنوية والرغبة في الحياة. وحينمـــا حان موعد الانصراف استأذن "سامح" على وعد بأن يحضرهما معه في مره أخرى. أوصل البنتين إلى أبيهما وانطلـــق مـــسرعًا لتلبية دعوة الشيخ عبد البديع على الغداء.

الرحلـة

أخذت السيارة التي تقل مصطفى وتوماس تقطع الطريق إلى المزرعة التي لا يعرف مصطفى عنوانها وقد لاحظ شيئين، الأول: أن توماس في كل مرة يسلك طريقًا مختلفًا غير سابقه، والثاني: أنه لا يوجد بالطريق أي لوحات إرشادية تدل على المكان.

وصلوا إلى المزرعة. كان هناك عدد من الرجال يحيطون بالمكان وحينما أراد مصطفى الحوم حول المكان ليأخذ فكرة عنه منعه توماس. كان هناك ثلاثة أفراد في انتظارهم بـــرادلي وسميث، وهما اللذان قامــا بتـــصميم الأدوات المـــستخدمة كَسُرُر التحنيط، والآنية التي تستخدم لحفظ ما يخـــرج مـــن أحشاء الجسد. ومينا، باحث آثار متخصص، وقدمه توماس لمصطفى الذي لم يسترح لهذا الوصف. شعر بأنه لص آثـــار وليس باحث آثار. كان نحيفًا طويلاً ذو شارب رفيع جـــدًا وكانت نظراته ماكرة.

سأل مصطفى: هل معنا أحد آخر؟ أجاب تومـــاس: ألا يكفي هؤلاء، رد مصطفى: هناك شخص مهم ينقصنا، طبيب التشريح. سأله توماس: ألن تستطيع أن تحـــل محلـــه؟ قـــال

مصطفى: أنا إخصائي تحنيط وليس تشريح وهذا العمل لـــن يصلح أبدًا بدونه. قال توماس: إذا نحضر طبيـــب تـــشريح. سأله مصطفى إن كان قد استكمل الأدوات والمـــستلزمات المطلوبة للعملية فدعاه توماس إلى معاينتها بنفسه. التوابـــل ولبان الذكر (الكندر) والمر وكميات كـــبيرة مـــن ملـــح النطرون. وحينما سألهم مصطفى عن درجة حرارة الغرفة لم يجيبوه فأخبرهم بأنها لابد وأن تكون عند 46 درجة مئوية.. تعجب الجميع حتى أن مينا قال هكذا ستكون غرف التحنيط شديدة الحرارة.

علل مصطفى ذلك بأن درجة الحرارة عنـــد المـــصريّين القدماء كانت هكذا وهو لا يريد تعريض أول عمل للشركة للفشل، حينها رد مينا على مصطفى موجهًا حديثه لتوماس: كنت تريدني رئيسًا للفريق، أمّا الآن فمصطفى هـــو الـــذي سيقوم بذلك ويبدو أنّي سأتعلم منه الكثير. شكره مصطفى ثم قال لتوماس: أريد بيانات عن المتـــوفى، عمـــره؟ فأجابـــه توماس: 56 عامًا، وسأله: نوع الوفاة؟.. فأجابه: طبيعية ولم يعان أي أمراض مزمنة طيلة حياته، وهذه موافقة الرجل على تحنيط جسده بعد وفاته.

تسلّم مصطفى عمليًا قيادة الفريق وظل يؤكـــد علـــى توماس ضرورة إحضار طبيب تشريح. أشار عليه توماس أن يصعد إلى غرفته بالأعلى ليستريح قليلاً إلى أن يحين موعـــد

الغداء فسأله هل يسمح له بالتنزه قليلاً خارج المكان؟ اعتذر توماس قائلاً له: أنت تعرف طبيعة عملنا. صعد غرفته وبدّل ملابسه واسترخى قليلاً. لم يكن معتادًا على النـــوم في هـــذا الوقت. وتذكر أنه رأى اسم عطار في خان الخليلي على أحد هذه المشتريات فتعجب وقال في نفسه هل ذهب أحدهم إلى مصر ليشتري المطلوب لعملية التحنيط؟!!

دعوة الغداء

اعتذر "سامح" للشيخ عبد البديع لتأخره عليه ثم جلـــسا في أحد أركان المركز يتسامران. المركز الإســـلامي يتبـــع اتحـــاد المجالس الإسلامية والذي يضم عـــشرة مجـــالس كانـــت أولى جلساته عام 1963 في جامعه ملبورن.. وتمت إقامة المركـــز على مساحة كبيرة ويحوي مسجدًا ومدرسة وفصولاً لتحفـــيظ القرآن وقاعات ندوات ومكتبة بها مخطوطات نادرة وترجمـــة لمعاني القرآن الكريم بلغات مختلفة. وقد تم اختيار الشيخ تـــاج الدين الهلالي مفتيًا لأستراليا.. كانت هذه نبذة قصها الـــشيخ عبد البديع لمجموعة من الحاضرين ومنهم "سامح" وبدأ يعرفهم به ثم يعرفه بهم.. المهندس عماد من المغرب يعمـــل بإحـــدى شركات الاتصالات.. الكيميائي سعيد مـــن ســـوريا يعمـــل بإحدى شركات الأدوية.. الأستاذ عبد الله مـــن الـــسعودية

صاحب شركة لتجارة المواد الغذائية.. وهذا الطبيب محمود من مصر وهذا كمال من موريتانيا ويعمل بأحد المطاعم ويـــدرس هنا وهو شاب مجتهد. هكذا أخبر عنه الشيخ عبـــد البـــديع.. كانت جلسة رائعة، تحدثوا فيها عن كل شيء وكان أجمل ما فيها بالنسبة لسامح هو تغيير الوجوه وتغيير الأمـــاكن وتغـــيير مواضيع الحوار، كان يتمنى أن يكون نعيم معه الآن ولكن نعيم كان مشغولاً عنه هذه الأيام. لا يدري بماذا ولكنـــه مـــشغول عنه.

بعد فتره استأذن منهم الشيخ واصطحب معه "ســـامح" إلى البيت لتناول الغداء والتعرف على أسرته، وحينمـــا جلـــسا، تحدث "سامح" إلى الشيخ عبد البديع عن أنه كثيرًا مـــا يـــرى رقمًا في رؤيته.. ويظنه 260.. هل هذا الـــرقم لـــه علاقـــة بالرؤى التي كان يراها من قبل أم له علاقة بمشكلة شاكر المالية لا يدرى.

قال الشيخ أظن أن له علاقة بالرؤى الـــسابقة.. لمـــاذا لا نجرب؟ في القرآن 260 سنجدها... حينها دخلـــت زوجـــه الشيخ عبد البديع ورحبت به. قدمها الشيخ قـــائلاً: فاطمـــة زوجتي، أم عبد الرحمن وعبد الله ومريم.

وهذا الأستاذ "سامح" وقريبًا الدكتور "سامح" إن شاء الله. كانت فاطمة أصغر بقليل في العمر من زوجها، حاصلة علـــى بكالوريوس دراسات إسلامية من الأزهر الشريف وتسعى هي

الأخرى لنيل درجة الماجستير وإن كانت تسير في ذلك سير السلحفاة، قالها الشيخ ضاحكًا فما لبثت أن قالت بعد أن رحبت بسامح كثيرًا وهل التي يكون لديها ثلاثة أولاد تستطيع أن تفعل أي شيء آخر غير تربيتهم؟

جلس "سامح" والشيخ يتناولان الغداء، وقال الشيخ لعلها الآية رقم 260.. فقال "سامح" أنت تعني أنه ربما تكون الآية 260 في القرآن.. ولكن في أي سورة؟ ضحك الشيخ لن يكون ذلك بالطبع سوى في سورة واحده: "البقرة".. سأله "سامح": وعن ماذا تتحدث.. عن سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى.. قال "سامح": لا أدرى لا أظن أن هذا تفسير معقول.. فلا أدرى ما علاقتي أنا بهذا حينها قال الشيخ إنها تتحدث عن الطيور.. تخصصك. يقول تعالى:

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } البقرة.

أرى أن تحاول القراءة في تفاسير هذه الآية فلعلها المراد من رؤياك كلها.

حان موعد صلاة الظهر، فتوضأ مصطفى، وبعد أن نظـر إلى الشمس وعرف اتجاه القبلة أخذ يصلي وبينمـا هـو في صلاته دخل عليه مينا فكلمه وهو يصلي فلم يرد عليه فأعاد مينا كلامه فلم يرد فانتظر مينا حتى فرغ مصطفى من صلاته واعتذر له بأنه لا يستطيع الرد عليه طالما هو في صلاته. سأله مينا: أنت متدين إذًا. رد مصطفى: أحاول أن أكون كذلك، قال مينا: نعم أنت كذلك ويظهر ذلـك في الكـثير مـن تصرفاتك حتى أنك أقحمت الكتاب المقدس لكم في عمليـة التحنيط ولا أدري هل هذا من التديّن أيـضًا؟ عفـوًا يـا مصطفى.

قال مصطفى: لا عليك، أعلم أني سأسمع هذا الحديث من الكثيرين. هل قرأت في العهد القديم؟ حينها سكت مينـا ولم ينتظر مصطفى أن يرد عليه فأكمل كلامـه: في الإصـحاح الخمسين من سفر التكوين بالعهد القديم أمر يوسف الأطباء المصريين أن يحنطوا أباه حيثُ ورد (فحنّط الأطباء إسـرائيل وكمل له أربعون يومًا لأن هكذا تكمل أيام التحنيط). أليس هذا كتابًا مقدسًا أيضًا؟ أما الآية هنا في القرآن فتتحدث عن

فرعون موسى الذي أغرقه الله في البحـــر حينمـــا ســـار في الطريق الذي فلقه الله تعالى لموسى (عليه السلام) ليمر منـــه هو وبني إسرائيل ثم أعاد البحر لطبيعتـــه ليغـــرق فرعـــون وجيشه. هنا أتى أحدهم وأخبرهم بأن الغداء جاهز.

العمل الجديد

كان قد اعتاد العمل الجديد. وبالفعل كان مريحًا جدًا. كان يجلس من السادسة إلى الثانية عشرة أمام شاشات المراقبـــة في غرفة مغلقة. كان يستطيع القراءة والدراسة وهو ينظر إلى هذه الشاشات وفى إحدى المرات لمح "سامح" شـــيئًا يتحـــرك في شاشات المراقبة، كان الظلام دامسًا. لم يدر "سامح" ما الذي يتحرك. إنه يقفز وراء الأشجار. أسرع واتصل بأمن الجامعـــة وحدد لهم مكان اللص. هرع أمن الجامعة إلى المكـــان الـــذي حدده "سامح" فلم يجدوا شيئًا وحينما أخبروه بـــذلك عـــبر اللاسلكي أخبرهم أنه انتقل خلف الكافيتريا حينها أسرعوا نحو المكان ليجدوه كنغرًا فأخذوا يضحكون.. إنه كنغر.. وكـــان الناس يرونه في أماكن كثيرة. لذا حينما قال لهم "سامح" أنـــه لص أخذوا يضحكون، واتصل مديره في العمل يهنّئه وصرفت له مكافأة.

ساو

ساو من كوريا الشمالية. كان والده دائمًا يحلم أن يعلّم أولاده تعليمًا جيدًا، وكان يدفع دائمًا ساو إلى الاجتهاد وكان مجتهدًا بطبعه. لم يأت ساو للجامعة منذ عشرة أيام، فقد اختفى من المعمل ومن السكن في المدينة الجامعية ولم يعد أحد يراه. وهم لا يعلمون سبب اختفائه. كان هذا رد مَنْ بالمعمل على الشرطة التي جاءت تحقق في اختفاء ساو بعد بلاغ وصلها من إدارة الجامعة.

طرق الباب عدة مرات ففتح له نعيم. كان نعيم منعزلاً هذه الأيام لا يراه أحد، فبادره "سامح" قائلاً: أنت تعلم أين ساو فأخبره نعيم بدون تردد: لا، لا أعلم أين مكانه ولكني أعلم سر اختفائه إن فترة بعثته قد أوشكت على الانتهاء وهو لا يريد الرجوع إلى بلده لذا قرر الهرب والعمل في أي مكان وعدم الرجوع لبلده حاملاً شهادة الدكتوراه. قال "سامح": لدي حل لمشكلته فهل تستطيع أن تقنعه بالرجوع؟ قال نعيم: أستطيع أن أترك له رسالة في أكثر من مكان وبهذا قد أستطيع أن أعثر عليه، ولكن ما هي خطتك؟

الأصدقاء الثلاثة

تقابل الثلاثة على الكافيتريا. كان ساو يتلفت حوله كثيرًا. لم ير "سامح" ساو هكذا من قبل وبعد أن تحدثا معه وعَلما أنه فعلا لا يريد الرجوع إلى بلده وأنه تعرَّف على شخص أخـــذ منه جواز سفره ليوصله إلى رجل يسمى الرجل الأيرلندي ليدبِّر له هوية جديدة ليستطيع بعدها أن يعمل مدرسًا في أي مكـــان بأستراليا وأنه سيتسلم هذا الجواز قريبًا. أخبره نعيم وسامح أن لديهما حلاً آخر.

وفي اليوم التالي قابل ماري وتحدث معها في فترة الغداء قائلاً لها إن هذه النوعية من المشاكل لم ترد عليه من قبل وإن كـــان يرى أنه لابد من وقفه حازمة مـــع صـــديقها فإمـــا الـــزواج والإنجاب وإما إنهاء العلاقة. يا إلهي أنا أكرر كـــلام شـــاكر بالضبط. إنني أجزم أنني الآن متقمص لشخصيته. لقد وضعت يدي على أنفي لأرفع النظارة مع أنني لا أرتدي نظارة! قالـــت ماري أنها ستفكر في الأمر فأردف "سامح" قائلاً إنه يرى أنه لا إنجاب إلا بعد الزواج حتى يكتمل شكل الأسرة التي تريد. كان هذا الرأي خاصًا به وليس من آراء شاكر.

بداية التحنيط

اليــوم الأول

حينما وصل الجسد وعاينه مينا ودعا مصطفى إلى معاينته أيضًا سرت قشعريرة في جسده، أخذ يـــسمي الله في ســـره والرعشة تسيطر على جسده كله. هنا فقط شعر بـــصعوبة الأمر عليه فلم يعد الأمر صورة في كتاب أو حتى موميـــاء ملفوفة في تابوت ولكن هذه جثة حقيقية. قال لتوماس: نريد كاميرا لتسجيل العملية فاعترض تومـــاس، إلا أن مـــصطفى شرح له أن ما يقومون به الآن علم ولابـــد مـــن تـــسجيله ومراجعة خطواته أولاً بأول، أين طبيب التـــشريح؟ أخـــبره توماس بعد أن وافق على عملية التسجيل أن طبيب التشريح سيصل في أي لحظة الآن. وبالفعل دخل الدكتور رولانـــد. قال مصطفى: الآن سنبدأ عملنا، بسم الله الرحمن الـــرحيم، فظنّها الواقفون حوله تعويذة كان يقولها الفراعنـــة. طلـــب معاينة الأدوات المستخدمة:

فرشاة خشنة – مقص – ملقاط – إبرة جراحة – جفت – مشرطان.

طلب إليهم مصطفى أن ينقلوا الجسد إلى حوض غسيل وإيقافه ثم صب عليه الماء. لم يكن ينظر إلى وجهه، ثم طلب إليهم أن يجعلوه راقدًا وظل يسكب الماء عليه من جميع الجهات.

أخبرهم مصطفى أن عملية الغسل لدى الفراعنة ليس غرضها التنظيف وفقط وإنما كان لهم أهداف دينية أيضًا.

أمرهم مصطفى بعد ذلك أن يرسلوه إلى الفراش الخشبي الذي سيتم التحنيط عليه.. أشار مصطفى إلى عظمة فوق الأنف وأخبر الدكتور رولاند أن يكسرها ثم أدار مصطفى وجهه ولم ينظر ثم طلب إليه إدخال آلة طويلة معقوفة مثل سنارة الصيد وتحريك الطرف الخارجي لها لتقوم بتقطيع نسيج المخ إلى قطع صغيرة ثم طلب سحب هذه القطع الصغيرة عبر الأنف. كل هذا وهو لا ينظر ولكنه رأى أن كل من بالغرفة يشاهدون ما يقوم به الدكتور رولاند.

حينها تشجع قائلاً في نفسه: أكل هؤلاء يستطيعون وأنا لا؟! ثم حرك وجهه ونظر إلى الدكتور رولاند وهو ينزل قطع المخ من الأنف. حينها شعر بأن كل ما في معدته سيخرج

منها فخرج مسرعًا وذهب إلى الحمام وأخذ يتقيأ حتى كـــاد أن يتقيأ أمعاءه نفسها.

غسل وجهه مرات عديدة فشعر أنه أفاق قليلاً فتوجـــه إليهم. اعتذر لتوماس فتقبل ذلك وتوقعه فهو يعلم أن هـــذه أول مرة يتعامل فيها مصطفى مع جثـــة حقيقيـــة. وســـألوا مصطفى: ماذا نفعل بعد ذلك؟ فطلب منهم ســـكب الميـــاه بغزارة على المكان ووضع المخ في إناء مكتوب عليه الصنف: مخ، تاريخ حفظه، اسم صاحبه. ثم طلب كتانًا فغمـــسه في زيت الصنوبر وحاول أن يتشجع فيضعه هو داخل الفتحـــة فوق الأنف إلا أنه تراجع ولم يستطع، ففعل مينا ذلك حيثُ ملأ الفتحة بلفائف الكتان وكذلك فتحتي الأنـــف وطلـــب منهم حبات من الفلفل الأسمر وقام بوضعها في فتحتي الأنف. حينها قال مصطفى موجهًا حديثه لكـــاميرا التـــصوير: الآن نعلن انتهاء أول خطوتين في التحنيط، الغسل بالمـــاء ونـــزع المخ.

260

حينما تقابل الشيخ عبد البديع وسامح، كان أول سؤال من الشيخ له: هل قرأت في تفاسير الآية 260 من سورة البقــرة؟ قال "سامح": نعم. قال: وماذا فهمت منها؟ فرد عليــه: مــا فهمته أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام أن يــأتي بأربعــة طيور ويميلهن إليه حتى يرى ما بهن من خصائص ثم يــذبحهن ويقطعهن إلى أجزاء ثم يوزع الأجزاء على كل جبل ثم يناديهن فيأتينه سعيًا بإذن الله. ولكني لا أدري لماذا سعيًا وليس طــيرًا؟ قال الشيخ عبد البديع: عليك أنت أن تخبرني، قال "ســامح": إنها طيور ومن كمال عودة الحياة لأجهزة جــسمها أن تــأتي محلقة فلماذا سعيًا؟ قال الشيخ: لقد أسهب في ذلك المفسرون، قالوا ليتمكن من رؤيتها واضحة بعينه أم أنّ لديك رأيًا آخــر؟ قال "سامح": لا أعلم، فأنا غير متخصص في التفسير، حينــها قال الشيخ كلامًا بدأ يحدث تغييرًا في فهم "ســامح"، قــال: ولكنك عالم طيور وتستطيع تفسير هذه الآية أفضل مني ومــن أي مفسر خاصة إذا تعلمت قواعد التدبر وأتقنت دراسة اللغة العربية.

سكت "سامح" قليلاً ثم قال: الطير نوعان طير تطير وأخرى لا تطير. لعل الطير التي أخذها سيدنا إبراهيم كانت من النوعية التي لا تطير. قال الشيخ: ربما وإن كان بعض المفسرين قد أتوا على ذكر هذه الطيور الأربعة.

مكالمة غريبة

رن هاتفه المحمول، كان الرقم من مصر ولكنه لا يعرفه وحينما أجاب كان المتصل صديقه "علي" صاحب البازار. كان يريد أن يطمئن على أحواله. سأله مصطفى: كيف عرفت رقم هاتفي؟ فأخبره من أهله. تعجب مصطفى كثيرًا من هذه المكالمة وسأله هل هناك شيء تريده؟ أخبره "علي" أنه يريد أن يطمئن على أحواله فقط، وانتهت المكالمة. لم يفهم مصطفى سر هذه المكالمة خاصة أن "علي" من الشخصيات التي لا تهتم إلا بنفسها فقط ولن يتصل بأحد إلا لمصلحة شخصية. هذا وأنت في مصر فما بالك وأنت في ألمانيا!!

حاول النوم بعدها إلا أنه وبالرغم من أن ما رآه في الجثة بسيط إلا أنه لم يستطع الكف عن التفكير فيه.. مظهر بشع.. حينها طرق عليه أحدهم الباب مخبرًا إياه بأن العشاء جاهز. أخبره بأنه لن يتناول عشاءه. لم يستطع مصطفى وضع أي شيء في معدته، قام وتوضأ ثم صلي.. لعله يهدأ قليلاً.

ماري

حينما تحدثت ماري مع "سامح" أخبرته أنها أخذت برأيــه وخيّرت كلارك بين الزواج والإنجاب وبين الانفــصال التــام فأخبرها بأنه سيفكر في الأمر قبل أن يرد عليها لأهميــة هــذا القرار في حياته ولابد له من التأني، وحينما فرغت من حديثها قال "سامح": أريد منك معروفًا.

ذهب "سامح" ونعيم وماري للبروفيسير يشرحون له سبب تغيب ساو واختفائه عن الأنظار وبالطبع لم يعجب آدمز هــذا الكلام فرد بكلام لاذع عنه وأنه لن يقبل له أي عذر. وسألهم ماذا تريدون مني بخصوص ذلك الأمر؟ فأجابه "سامح" بــأنهم سمعوا عن مجموعه بحثية جديدة تكوَّنت تحت إشرافه، وما نريده هو أن تقدم طلبًا لإدارة الجامعة بتعيين ساو نائبًا لــك كمــا فعلت مع ماري من قبل. لم يقبل البروفسير بهذا الأمر، وبعــد حديث طويل دار بينهم أنهت ماري الحديث قائلة: آدمز، أريد أن تسأل نفسك سؤالاً، هل ساو مجتهد ويستحق هذا الأمر أم لا؟

زيارة جاك

اتفق "سامح" مع الفتاتين أن يحضرا هدية لجدهما جاك حين يذهبان إليه وحينما وصلا إلى جدهما وجدا فراشه خاليًا فقد رجع إلى غرفته وحلق ذقنه وهندم نفسه وأعد الكثير من الحلوى والمشروبات، عندئذ سألهما "سامح" عن هديتهما لجدهما فأخرجاها. كانت جهاز أتاري. تعجب "سامح" جدًا من هذه الهدية أما جاك فقد سر بها كثيرًا وسألهم هل بها لعبة الفيفا، وحينما أجابتاه بنعم قال إذا لنقم بعمل دوري نحن الأربعة.. لعب الأربعة لعبة الفيفا وكان جاك في حالة نفسية رائعة.

وبعد أن فرغ من جاك تحدث مع شاكر على النت وكان قد حصل على الجمعية وطلب من "سامح" ترك العمل وهو سيتولى الأمر من هنا، إلا أن "سامح" أراد أن يستمر شهرًا آخر حتى يتأكد شاكر من تحسن أوضاعه فأوضح له أنه فتح مكتبًا صغيرًا وبدأ في أول عملية للمكتب وبفضل الله بدأ يستقر.

وفاة جاك

ذهب "سامح" في العطلة هو وكريستينا وجوليا لزيارة جدهما جاك فقابله أحد العاملين قائلاً لقد جئت في وقتك تمامًا، لقد توفي جاك للتو وكنت سأتصل بابنه الآن فتولى "سامح" الاتصال بالبروفسير وأخبره.

كانوا جميعًا في المقابر بالملابس السوداء وكـــان الراهـــب يتحدث إلى الجمع الذي يقف ثم تحدث بعض الأفراد عن جاك ومنهم آدمز الذي قال إن أباه قد علمه الكثير وأنه كان مقصرًا في حقه وأنه يتمنى له الغفران.

وبعد انتهاء الجنازة أخبرت ماري "سامح" أن كلارك وافق على الزواج، واتفقا على أن يكون الزفاف آخر هذا الـــشهر. كم كان رأيك صائبًا. لا تدري كم أنا سعيدة بهذه النتيجـــة وأتمنى أن أصبح أمًا في القريب العاجـــل، فهنأهـــا "ســـامح" وأخبرها أنها إذا أرادت شيئًا فلابد أن تعلمه، فوعدته بذلك.

حواره مع مينا

حينما خرج إلى الشرفة وجد مينا يقف في شرفة غرفتـــه بجواره.. حيَّاه مينا وقال له: أنت أيضا لا تـــستطيع النـــوم؟ فأومأ مصطفى برأسه، فأكمل مينا: ولكني أعلم سبب أرقك. مشهد الجثة اليوم.. فعلاً كان مشهدًا صعبًا.. وأنـــت كـــان يجب عليك تدريب نفسك على مثل هذه المواقـــف. قـــال مصطفى: وفي رأيك كيف يكون هذا التدريب؟ هل أقتل كل يوم شخصًا وأقوم بتحنيطه؟كنت أعتقد أنني ســـأتعامل مـــع الجثة كأي مومياء أخرى فلا أنسى أن أســـتاذًا لي بالجامعـــة

اصطحبني ومجموعة من زملائي في رحلة إلى متحف التحنيط بالأقصر وأخذ يشرح لنا عمليًا طريقة التحنيط على هـــذه المومياء وماذا فعلوا بها. وهو لا ينسى هذا اليوم أبدًا. كانت المومياء للأمير "مساهرتي" ابن الملك "بانجم" الأول أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين في القرن العاشر قبل المـــيلاد لـــذا كان يظن أن الأمر سيكون كتلك المومياء أو حتى قريبًا منها إلا أنه كان مختلفًا تمامًا. قال مينا: لا تتعجب فهذا أمر طبيعي وسوف تعتاد على ذلك. قال مصطفى: لقد وقفت تـــشاهد الأمر وكأنك رأيت هذا مرارًا وتكرارًا! قال مينا: بالطبع أنا اعتدت على رؤية ذلك ولا تنسى أني باحث آثار وبالمناســـبة أريد أن أسألك ماذا كان انطباعـــك الأول عـــني حينمـــا رأيتني؟.. قال مصطفى: عفوًا لن يعجبك انطباعي عنك، قال مينا: بل قل انطباعك فلن يغضبني ذلك، قال مصطفى: لص آثار، هنا ضحك مينا كثيرًا فقال مصطفى: عفوًا أنت الذي صممت على ذلك، رد مينا: لا هذا جيد أنا أحب دائمًا من يصدقني القول.. ولكن أخبرني من أين جاءك هذا الانطباع؟ قال أنت نحيف وطويل وشاربك نحيف ونظراتـــك مـــاكرة. لعلها من الأفلام الأمريكية التي دائمًا ما يكون لص الآثـــار فيها بهذه المواصفات. وحينما رأيتك ثابتًا لم تتأثر والـــدكتور

رولاند يقوم بترع المخ أيقنت أنك خبير في هذا المجال. ليست خبرة علمية فمعلوماتك العلمية ضئيلة ولكنها خبرة عملية على أرض الواقع وبالطبع هذا ما ينقصني. ومن كل ما سبق يتضح بالطبع أنك لست باحث آثار. رد مينا: إذًا فأنا لص آثار.. ثم أخذ يضحك.

قال مصطفى: أرجو ألا تعد كلامي سوء أدب، قال مينا: لا بالعكس أنا أحب الإنسان الذي يصارحني وأحب أكثر التعامل مع الشخص الذكي اللّماح. تصبح على خير يا مصطفى.

العصابة والخطبة

حينما علم "سامح" بموعد ومكان اللقاء بين ساو والرجل الأيرلندي أصابه القلق و لم يطمئن. كان اللقاء في مكان ناء والموعد متأخرًا جدًا حتى حينما طمأنه ساو بأنه سيدفع إليه نقوده كاملة ويأخذ جواز سفره القديم كما هو.. كما أن لديه ثلاثة من أقاربه هنا في ملبورن يجيدون التعامل مع مثل هذه الأمور.. كان رأي "سامح" إبلاغ الشرطة إلا أن ساو كان يرى في ذلك إنهاء لمستقبله، فلا هو رجع إلى بلده بالدكتوراه، ولا ظل في أستراليا يعمل بأي وظيفة. اعتذر "سامح" عن

المشاركة في هذه المقابلة. وتفهم ساو ذلك بل وطلب من نعيم هو الأخر ألا يشارك إلا أن نعيم أصر على المشاركة. وقبل الموعد بساعة كان نعيم وساو وأقرباؤه الثلاث في المكان يوزعون أنفسهم بطريقة صحيحة، كان ساو ونعيم يرتجفان تدور برأسهم الظنون ولسان حالهم يقول ألم يكن من الأهون علينا إبلاغ الشرطة؟!

في هذه الأثناء كانت ولاء تطلب رسميًا من قبل الأستاذ شاكر ووالده ووالدته. كانت الأسرتان يعرف بعضهما بعضًا واتفق الطرفان على كل شيء وحينما حاول عم قطب والد ولاء أن يجعل الأمر مفتوحًا أصر شاكر على وضع النقاط على الحروف وأن يعرف كل طرف ما له وما عليه.

وصل الرجل الأيرلندي ومعه اثنان آخران يتلفتان يمينًا ويسارًا وحينما خرج ساو ونعيم صوب الاثنان مع الايرلندي سلاحيهما تجاه ساو ونعيم وعلى عكس ما توقع ساو لم يعلق الأيرلندي على وجود نعيم. رفع ساو ونعيم أيديهما في الهواء. تقدم ساو رافعًا يده بالنقود المتفق عليها مع الرجل الأيرلندي وتقدم منهما ببطء، كما كانت ولاء تتقدم ببطء بالمشروبات لعريسها وأبيه وأمه. كانت يدا كليهما ترتجف، يد ولاء بالمشروبات ويد ساو بالنقود الذي انتظر إشارة من الرجل الأيرلندي بأن يترل يديه ويعطيه أوراقه كما انتظرت ولاء أي إشارة من أبيها حتى تجلس معهم، وحينما أخبرتها أمها أن تدخل غرفتها استجمعت شجاعتها قائلة: عفوًا يا أبي ولكن

هذا مستقبلي ومن حقي أن أجلس معكم وأنتم تتحدثون عنه. تمامًا كما استجمع ساو شجاعته وقال للأيرلندي: هذا مستقبلي وأريد أوراقي الآن بعد أن أخبره الأيرلندي أنه سوف يرسل له أوراقه. وافق عم قطب وأعجب بشجاعة ابنته ولم يوافق الأيرلندي وإن كان قد أعجب بشجاعة ساو مهددًا إياه بأن ما سيكلفه سيكون رصاصة في رأسه في حين أن كل ما سيكلف شاكر دبلة في يد ولاء لإقامة حفل الخطبة تراجع ساو قليلاً وهو خائف وخرج أقرباؤه الثلاثة ممسكين بالسلاح يحيطون بالرجل الأيرلندي الذي ما لبث أن أطلق أحد أعوانه رصاصة في الهواء لإعلام باقي رجال الأيرلندي المختبئين في المكان.

أطلقت أم ولاء الزغاريد لإعلام من يحيط بها من الجيران. خرج رجال الأيرلندي المختبئين يحيطون بساو ومن معه بينما أحاط جيران عم قطب به يهنئون ويباركون. كان رجال الأيرلندي يوثقون ويقيدون حينها قال الأيرلندي أنه يستطيع قتلهم جميعًا فهم لا يعرفون الرجل الأيرلندي جيدًا. هنا كانت المفاجأة... لقد دفع شاكر مبلغًا من المال مقدمًا لشقة والباقي تقسيط ويريدهم أن يشاهدوها. كانت هذه مفاجأة شاكر أما مفاجأة الأيرلندي فكانت من نوع أخر فقد أخذ نعيم يطيل النظر في وجهه ويقترب منه ثم قال: أأنت هو؟ أأنت من أظن؟ أشار الرجل الأيرلندي لرجاله أن يتركوه يقترب منه. أكمل حديثه باللغة العربية يبدو أنك فعلاً هو.. يا سبحان الله.. رد

الرجل الأيرلندي بالعربية.. أو تعرفني؟.. أكمل نعيم: ألست جمال حسن بعنونه؟ سكت قليلاً منتظرًا لرد فعله.. ثم تابع قائلاً: أنا نعيم ابن أختك زينب. تعجب الرجل الأيرلندي أو الذي كان أيرلنديًا ثم اتضح أنه لبناني بل وخال نعيم. قال: أختي زينب.. أنت ابنها.. كيف ذلك؟ أنا لم أرجع إلى لبنان منذ 15عامًا.. كيف عرفتني؟ رد نعيم: آخر مرة كانت لك في لبنان كنت في المرحلة الإعدادية ولك صورة عندنا وأنت تتوسطنا معلقة على الحائط ودائمًا ما كانت أمي تحدثنا عنك وتدعوْ لك. لكنها لم تخبرني يا خالي أنك زعيم عصابة.. لم تخبرني يا خالي أنك مزورا! احتد كلام نعيم وعلا صوته. كان ساو لا يفهم ما يقوله نعيم إلا أنه جذبه من يديه ليهدئ من حدة كلامه إلا أن نعيم جذب يده بقوة وتوجه نحو خاله الذي أشار إلى رجاله بالتراجع وترك نعيم الذي قال: هل تعلم أنني لن أستطيع أن أخبر أمي في يوم ما أنني شاهدتك؟ لن أستطيع تحمل صدمتها فيك وهى تظنك رجل الأعمال الناجح الذي تمنعه مسئولياته الكثيرة من السؤال عنها. وللأسف أنت أخوها الوحيد.

بدأ شاكر وأهله في تناول الطعام فقد أعدت أم ولاء مائدة ضخمة، كما أن نعيم وخاله جمال في أحد المطاعم الفاخرة يأكلون أيضًا. اطمأن شاكر لاسترداد حبيبته كما اطمأن ساو باسترداد أوراقه ونقوده.

اليوم الثاني

أعلن مصطفى أن اليوم سوف يتم نزع أحشاء البطن ونظر إلى الدكتور رولاند قائلاً: كان الفراعنة يفتحون شقًا في الجانب الأيسر ثم يُخرجون منه الأحشاء الداخلية ولكن هذا الفتح لم يكن ذا شكل أو مقاس موحد بل كان يختلف من جسد لآخر.. وأخرج أجندته وجعل الدكتور رولاند يرى أوضاعًا مختلفة فهناك الطولية وهناك العرضية والعرضية المائلة.. وهكذا.. فأي هذه الأوضاع ستختار يا دكتور؟ أجابه الدكتور: ليس أيًا من هذه الأوضاع.. فلماذا لا يكون الشق من منتصف البطن؟ إننا بهذا نضمن ألا نُحدث تمتكا في الأحشاء الداخلية للبطن. قال مصطفى إن الفراعنة كانوا يغلقون هذه الفتحات بالشمع لذا كانوا لا يريدون إحداث فتحة كبيرة كالتي تقترحها في المنتصف. أجابه الدكتور: أولاً أنا لن أفتح فتحة كبيرة، ثانيًا لن نقلق أنفسنا بعملية الغلق. سنقوم بخياطة الفتحة أيا كان حجمها صغيرة أو كبيرة. قال مصطفى: إذا فليكن ما تقول لكن ما يهمني في هذا الأمر أن تخرج الأحشاء سليمة وألا نشوه الجثة أكثر من هذا.. وهناك أمر آخر ألن تحتاج مشرطًا حجريًا حتى لا تحدث تمتكات

بنسيج البطن.. قال الدكتور: عفوًا نحن الآن في عام 2009، أستطيع أن أستخدم مشرطًا عاديًا دون تمزيق لأنسجة البطن، قال مصطفى: على كل أنت إخصائي التشريح فافعل ما تراه صحيحًا.. صمم مصطفى هذه المرة أن يراقب عمل الدكتور الذي بدأ في إحداث شق من منتصف البطن، فبدأ مصطفى يرتجف ويعرق بغزارة خاصة والدكتور يدخل يده في هذا الشق وحينما أخرج الأمعاء لم يدر مصطفى إلا بمن يوقظه ويهز فيه بشدة وهو على فراشه. فقد مصطفى وعيه ولا يتذكر أي شيء سوى أنه رأى الأمعاء تخرج من البطن. كان مينا هو من يقوم بإفاقته قائلاً له: عفوًا ولكننا لا ندري هل نضع الأحشاء في الآنية الخاصة بها أم أن هناك خطوة سابقة على ذلك. قام مصطفى من فراشه واعتذر لهم ثم أوضح لهم أن يضعوها في إناء كبير به ملح النطرون وتركها مدة وبعد أن أخذ حمامًا وأفاق طلب أن يتم وضع كل عضو من الأعضاء الست في الأواني المكتوب عليها اسم الجثة والتاريخ والصنف.

كانت الأعضاء: الرئتان – القلب – الكليتان – الكبد – الأمعاء – المعدة.

وحينما سأله مينا: لماذا كان الفراعنة يصنعون أربع أوانٍ فقط وليس ستة كما فعل مصطفى؟ أخبره أن الفراعنة كانوا يعيدون القلب والكليتين إلى مكانهما في جسد المتوفى مـــرة أخرى لأسباب خاصة بمعتقداهم ليس لهـــا علاقـــة بعمليـــة التحنيط، وبعد أن وضعوا الأعضاء في الآنية أتى مـــصطفى بالحشو المؤقت، لفافات كتان بها ملح النطرون وأخرى بهـــا مواد عطرية، ثم أخبر مينا أن يقوم بحشوها داخل البطن حتى يملؤه جيدًا. "كانت هذه هي خطوة نزع أحشاء البطن وغدًا مرحلة أخرى". كان ينظر إلى الكاميرا وهو يقول ذلك.

اتصالات تليفونية

اتصل بأسرته ليطمئن عليهم وحينما أخبروه أن "علـــي" أتى اليوم وأخذ رقم هاتفه منهم قال لهم تقصدون بـــالأمس لأنه اتصل بي بالأمس.. قالوا: لا بل اليوم.. تعجب مصطفى لأن "علي" أخبره أنه أخذ رقمه من البيت بالأمس ثم تحدث مع نجاة عن أحواله وأحوالها. لم يخبر أحدًا بشركة التحنـــيط ولا عمله بها حفاظًا على مبدأ السرية المتفق عليه.

جاء لمصطفى اتصال من كمال أعلمه فيه أنه حاول أخذ إجازة له من "مسعود روحي" إلا أنه رفض قائلاً: إما أن يأتي العمل غدًا أو لا يأتي أبدًا.. فما قولك؟ رد مصطفى: بالطبع لن آتي. أكمل كمال كلامه: أما صديقنا علي فقد اتصل بي بالأمس وأخذ رقم هاتفك حينها فهم مصطفى كيف حصل "علي" على رقمه لكنه لم يفهم لماذا ذهب إلى منزله ليأخذ الرقم وقد أخذه من كمال.. لعله طبعه المتشكك دائمًا.

اليوم الثالث

أخذ مصطفى يشرح للفريق خطوة اليوم وأهميتها قائلاً: خطوة اليوم هي التجفيف، حيث إن ثلثي وزن الجسم -نحو 68%- مكوّن من الماء، لذا تقوم عملية التجفيف بالتخلص من هذا الماء، وكانت وسيلة المصريين في التجفيف ملح النطرون يلقونه على الجسد أربعين يومًا. هنا نظر إليه توماس قائلاً: هل تعني أننا سننتظر أربعين يومًا؟ لابد من وجود وسيلة أخرى. نظر إليه مصطفى بثقة قائلاً: بالطبع هناك وسيلة أخرى تستغرق يومين فقط. وأخرج زجاجة من حقيبته وأخذ يرش منها على الجسد بغزارة ثم أخبرهم أن يضعوه على سرير التجفيف المائل حتى تسيل المياه في مجاريها

الخاصة بها، ثم قال لهم: سنترك الجسد بعد ذلك يـومين في الثلاجة مع رشه بهذه المادة كل يوم صباحًا. قال توماس: هل تستطيع اختصار المدة أكثر من ذلك؟ قال مصطفى: لا تكن طماعًا.. بالطبع لا يمكن.

وحينما سأله مينا عن المادة التي قام برشها على الجسد رد عليه مصطفى بأنه سيحتفظ بهذه المعلومة لنفسه، قال مينـا: هذا حقك بالطبع.

في الحقيقة لم يكن مصطفى قد رش على هذا الجسد سوى ملح النطرون والماء، لكن كل ما كان يريده إجازة لنفسه فلقد كان يشعر بتوتر شديد، قيء ثم إغماء، وضجر من السرية.. والمنع من الخروج.. أراد أن يخرج من كل هذا حتى ولو ليومين فقط. وكان له ما أراد.

الشيخ عبد البديع

في حوار مع الشيخ عبد البديع قال "سامح" إنه تأثر كثيرًا بكلامه حينما قال أنه عالم طيور ويستطيع إذا تعلم قواعد التدبر وأتقن دراسة اللغة العربية أن يفسرها خيرًا من أي مفسر رد عليه الشيخ قائلاً: إن هذا الكتاب الخالد لا تفنى عجائبه وسيظل كل جيل يكتشف فيه الجديد حتى يظن ألا جديد بعده

ثم يأتي جيل آخر فيظن كما ظن سلفه إلى قيام الساعة.. ألم تقرأ قول "ابن عباس" رضي الله عنه: (والله لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله). أنت تقرأ أبحاثًا ورسالات ماجيستر ومقالات عن تخصصك فلم لا تقرأ عن تخصصك في القرآن. اقرأ آيات الطيور، أو ليس عجيبًا أن ترى رؤية تشير - كما نظن أنا وأنت- إلى آية تتحدث عن الطيور.

جلس "سامح" إلى الكمبيوتر ودخل إلى موقع بحث وكتب جملة الطيور في القرآن ثم أخذ يقرأ. كان يفعل ذلك وكأنه يذاكر ولكن الجديد هنا أنه يستمتع بهذه المذاكرة خاصة أنه تعلم من الشيخ عبد البديع كيفية قراءة القرآن. لا نقصد هنا نطقًا وتجويدًا وإنما تدبرًا وتأملاً في آياته.

إجــازة

أين سنقضي هذه الإجازة؟ أرجو ألا تقول لي إن يومين يمران سريعًا. قال توماس: هذا ما كنت سأقوله تمامًا، قال مصطفى: عملية التحنيط تحتاج إلى تركيز عال والتركيز يحتاج إلى عطلة والعطلة تحتاج إلى تغيير جو وتغيير الجو يحتاج إلى مكان آخر غير الذي نحن فيه. حينها قال مينا: عفوًا توماس أنا أؤيد مصطفى فيما يقول، أرى أن نخرج ثلاثتنا

ونقضي اليومين في أي مكان ثم نعود. وهكذا نكـــون قـــد استرحنا قليلاً.

قال مصطفى: هذا وإن كنت أتمنى ألا تكون الإجازة بهذه الصورة لكن لا بأس، أنا موافق. نظر إليهما توماس وقـــال: هيا بنا.

كان توماس ومينا ومصطفى في سيارة وخلفهم سيارة بها أربعة رجال متجهين إلى المدينة وبالطبع لم يعلـــم مـــصطفى الطريق كالمرات السابقة إلا أن الوقت المستغرق كان أقـــل وعلل ذلك بقلة الازدحام على الطريق.

شهر رمضان

دخلت ماري بكوبين من الشاي لنعيم وسامح قائلة إنهـــا لاحظت أنهما اليوم لم يدخلا الكافيتريا لشرب شيء، فشكراها كثيرًا على اهتمامها وأوضح لها نعيم أنهما من اليوم لن يدخلا الكافيتريا صباحًا لمدة شهر لأن اليوم هو أول أيام شهر رمضان المبارك، وسيكونان صائمين فسألته مـــاري وكيـــف يكـــون الصيام؟ أخبرها يكون بالامتناع عن الطعام والشراب من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

كان الإفطار الكبير أول أيام رمضان في المركز الإســلامي، وحضره العديد من الشخصيات العامة في أســتراليا. اختلــى "سامح" بنعيم متحدثًا إليه أنه لابد أن يجلس مع خاله ويتحدث إليه لعله يستطيع أن يثنيه عن طريقه.

الفنــدق

طلب توماس ثلاث غرف من موظف الاستقبال. صعدوا إلى غرفهم وأخبر توماس مصطفى بأنهم أعدوا لــه مفاجــأة سيراها بعد ساعة وعليه أن يكون جاهزًا في الموعد. دخــل مصطفى غرفته وأخذ حمامًا ثم خرج وقابل مينا وتوماس الذي أخذهم في سيارته وانطلق، وعند أحد المباني القديمة وضــع مينا يده على عيني مصطفى وقال له: حتى تكــون مفاجــأة بحق، ثم أزاح مينا يده من على عيني مصطفى ليرى نساءً شبه عاريات تملأ المكان، حينها علم أنه في بيت دعارة. قال مينا لمصطفى: ما رأيك في هذه المفاجأة وقال توماس: اختر مــا شئت إنها على حسابي. رد مصطفى: لا شكرًا أنا لا أفعــل هذا أبدًا، وخرج مسرعًا من المكان وكأن قد أصابته صاعقة كهربائية، وحينما تبعاه سأله توماس متعجبًا: ماذا بك؟ أنا لا

أفهم شيئًا. مد مينا يده إلى توماس قائلاً له: هيا أعطني... أخرج توماس من جيبه مائة يورو وأعطاها لمينا. لم يفهم مصطفى ما حدث، قال مينا لقد تراهنت معه أنك لن تقبل دخول بيت دعارة لأنك متدين وقد ربحت الرهان. قال توماس غاضبًا: وهل دعوة كهذه ترفض إلا من شخص شاذ، أو شخص جبان يخشى أن تعلم زوجته بما فعل، فنظر له مصطفى نظرة اشمئزاز، فأكمل توماس: وأنا أعلم أنك لست بشاذ ولا جبان. قال مصطفى: ما يحزنك أنك خسرت الرهان. قال توماس: فعلاً، ولكن أخبرني هل دينك يحرّم أيضا العشاء؟ قال مصطفى: لا، لكن للاحتياط أريده عشاء أسماك فاخر.

العريس

كان "سامح" يتحدث إلى أسرته على الإنترنت كالعادة إلا أنه لاحظ هذه المرة أن آلاء لم تكن علي طبيعتها. وحينما سألها عن سر ذلك أخبرته أنّ لديها ألمًا في أسنانها ولا شيء غير ذلك. أخبرته والدته أنّ آلاء تقدم لخطبتها عريس وهم في مرحلة السؤال عنه، كما أوصوا شاكر بالسؤال عنه هو الآخر. وإن كان عريسًا مناسبًا فسيجعلون خطبتهما معًا كعهدهما في

كل شيء، وبعدها بأيام اتصل به شاكر وأعلمه بالموافقة علـى العريس، فهو شخص طيب ومن أسرة كريمة وقد تحدد موعـد الخطبة يوم الخميس القادم وسوف يرسل شاكر أسطوانة مدمجة لحفل الخطوبة، لأن هناك عروسًا مرشحة لـسامح ستحـضر الحفلة. قال "سامح": إنه لا يريد عروسًا الآن وحينما يرجـع سوف يبحث في هذا الأمر، قال شـاكر أنـه سيرسـل لـه الأسطوانة شاء أم أبى.

أرسل "سامح" ما استطاع توفيره إلى أبيه ليقيم حفل الخطبة وكان الحفل للأختين معًا في ليلة واحدة على سطح المترل وتم دعوة الأهل والأقارب فقط أما الدعوة المفتوحة فـستكون في الزفاف إن شاء الله، وفي نفس الليلة شاءت أقدار الله أن يكون زفاف ماري، فذهب إليها "سامح" ونعيم والبروفسير يهنئونها واتصل "سامح" بشاكر وهنأه كما فعل مع خطيـب أختـه الأخرى أحمد. قالوا له كنا نتمنى أن تكون معنا الآن قال أنا في فرح هنا أيضًا مع أخت لي اسمها ماري.

المطعـم

قرأ مصطفى قائمة الطعام وأعاد قراءتها مرارًا فلم يفهـم شيئا. أتى النادل بطبق من مرقة اللحم البقـري ثم تـركهم وانصرف. شرع توماس ومينا في شرب المرقة بنهم وسـألهم

مصطفى: لماذا أشعر بغرابة في رائحة هذه المرقة أخبروه بأنها مضروب بها بيض غير مطهو. قال مصطفى: فهمت وعفـوًا لن أستطيع تناولها ثم قرأ... لابسكاوس... ما هـذا؟ قـال توماس: هذه وجبه إفطار وليست للعشاء وهي تتكون مـن لحم مفروم من صدور البقر والرنجة والبنجـر والبطـاطس والمخلل والبيض المقلي فوقه. قال مصطفى: رنجـة ولحمـة ومخلل وبيض مقلي.. شكرًا.. وماذا يعـني هـذا؟ فـايس فورست... قال توماس: سجق أبيض بتلو وأعـشاب يـتم سلقها وأكلها، وللعلم نحن لدينا أكثر من **1500** نوع من السجق. ليبركيزه هذه أعرف معناها...جبن الكبد... ولكن ماذا يعني؟ رد توماس: هو رغيف لحم الخنزير المقرمش مـع المستردة والكريمة. وقبل أن تسألني عن الطبق الذي يليه فهو الكرنب المطهو على البخار مع قطع من بطن الخنزير وشرائح من لحم الخنزير وسجق. قال مصطفى لتومـاس: أرجـو ألا يكون مينا قد راهنك أني لن آكل لحم خنزير أيـضًا. قـال توماس: لا لم يفعل. وطلب توماس النادل فقال له مصطفى: هل لديكم أسماك؟ فأجابه: نعم قال: إذًا طبق أسمـاك علـى مزاجك بدون خمور بيضاء ولا حمراء ولا يدخل فيه أي لحم خنزير.جلس ثلاثتهم يتسامرون بعد العشاء، قال مـصطفى: توماس أنت لم تتفق معي حول ما سأتقاضاه في هذا العمـل وهل هو مرتب شهري أم مقابل فوري لكل جثـة. فـسأله توماس: ما الذي تفضله أنت؟ قال مصطفى: الأعلى دخلاً.

قال توماس: إذًا سيكون بالقطعة. قال مـــصطفى: تقـــصد بالجثة. رد توماس قائلاً: لابد أن تعلـــم أني ســـأعطيك مـــا يرضيك وزيادة فلا تقلق من هذا الأمر، أمـــا تحديـــده الآن بالضبط فسيكون صعبًا، لأن هذا أول عمل لنا. وهذه خمسة آلاف يورو من حسابك لعلك تريد أن ترسل لأهلك مالاً أو تشتري لنفسك شيئًا شكره مصطفى وأوضح له أن أهله في مصر لا ينتظرون أن يرسل إليهم مالاً، فعلّق توماس طبعا لا ينتظرون مالاً، فالمهندس إسماعيل حنفي كبير مهندسي شركة الإسكان، منصبه ومرتبه وأملاكه تجعله لا ينتظر منك مـــالاً. وأكمل مينا قائلا: خاصة أنه ليس لـــه إلا أنـــت وأخـــوك الأصغر، أما والدتك المدرّسة فلها هي الأخرى أملاكها التي ورثتها عن والدها. صفق مصطفى لهما قائلاً: يبـــدو أنكمـــا ذاكرتما دروسكما جيّدا ولكن بالمناسبة اسمها وزارة الإسكان وليس شركة الإسكان كما أن أمي وكيلة مدرسة وليـــست مدرّسة.

حقًا إن للتهديد وجوهًا كثيرة منها هذه الطريقة وللحـــق فهي تعجبني كثيرًا لأنها طريقة يغلفها الود.

زيـارة الخـال

فيلا كبيرة في حراسة عدد قليل من الأفراد وعدد كبير جدًا من كاميرات المراقبة وأجهزة أخرى لا يعرفها. يبدو أنه يثق في

الأجهزة أكثر من الناس وهناك أيضًا الكلاب التي تملأ المكـــان والتي لم تقرب نعيم وهو يمر من أمامها في زيارته لفيلا خالـــه جمال. دخل عليه فجاءه الخادم وقدَّم لهما مشروبًا فقال نعـــيم: يبدو أنك لم تنس بلدك فقط، لكنك نسيت الكثير أيـــضا يـــا خالي فنحن في شهر رمضان، أي أننا صائمون. هذا بالطبع إن كنت تتذكر شيئًا يُسمى شهر رمضان. أشار جمال في خجـــل إلى الخادم فرجع بالعصير وظل طوال اليوم مع نعيم لا يأكـــل ولا يشرب حتى حان موعد الإفطار. فتناول معه الطعام وترك نعيم خاله يتحدث بعد أن سأله: كيف أصبحت هكذا؟

كان جمال موظفًا بالجمارك بلبنان وكانت له الكثير مـــن الأحلام والتطلعات التي تفوق إمكاناته وحينما واتتـــه فرصـــة للسفر إلى أستراليا، سافر للعمل بإحدى الـــشركات ولكنـــها أيضا لم تكن ترضى طموحه. كان بارعًا في أعمال الكمبيـــوتر وفي تقليد أي شيء حتى جواز السفر وأتقن ذلك بشدة فعرض عليه أحدهم أن يعرفه بمايكل وكان من أصل أيرلندي لذا كان يسمى بالرجل الأيرلندي والذي عرض على جمال العمل معـــه وأغراه بالمال. وافق جمال وعمل ضمن مجموعـــة كـــبيرة لهـــا نشاطات إجرامية متعددة، ولم يكن لجمال علاقة بـــأي منـــها سوى التزوير فقط!! لذا حين اكتشف بعد ذلك أنها ليـــست عصابة لتزوير الإقامات وجوازات السفر فقط وإنما هي عصابة لكل شيء، مخدرات ... دعارة ... تجارة رقيق ... سلاح... مافيا، ولها فروع مختلفة ويتجمع كل هذا تحت إمـــرة الرجـــل

الأيرلندي، ألمح له أنه يريد ترك العمل فنظر لــه نظــرة ذات مغزى، حينها ظل جمال يكرر أنه لم يكن يقصد تركهم بــل سيظل دائمًا وفيًا لهم.

كان الرجل الأيرلندي يحب جمال ويرعاه مما جعل له شــأنًا داخل العصابة. كان يحكى لجمال الكثير من الأسرار فأصــبح جمال يعلم كل شيء عن هذه المنظمة دون أن يعلم أحد بذلك، لذا ظل جمال في المنظمة في كنف الرجل الأيرلندي إلى أن مات فجأة.

تجمع مجلس إدارة المنظمة لاختيار خليفة لمايكل الذي قــاد المنظمة لفترة طويلة. كان جمال يعلم أن هناك قطبين متنازعين في مجلس الإدارة وكان مايكل يحكى له أنه بمجرد موته ستقوم معركة كبيرة بين هذين القطبين، وبالفعل هــذا مــا حــدث وكادت المواجهة تصل إلى القتل حتى توصلوا لاقتراح يقــضي بأن يتم انتخاب شخص ثالث غيرهمــا لتــولى مجلــس إدارة المنظمة، حينها فكر كل طرف في أضــعف شــخص ضــمن الموجودين حتى يكون تحت سيطرته. بالطبع لم يكــن هنــاك أضعف من جمال الذي لم يكن من حقه حضور اجتماعــات مجلس الإدارة لولا أن الرجل الأيرلندي كان يصطحبه معه لذا تم انتخاب جمال رئيسًا للمنظمة وسط ذهول الجميــع وعلــى رأسهم جمال نفسه.

كان التصويت كتابة وحينما أعادوا فرز الأصوات أكثر من مرة تأكد فوز جمال الذي كان يعلم كل صـــغيرة وكـــبيرة في المنظمة من مصاحبته لمايكل فترة طويلة. سلطة، قوة، مهابـــة، كل ما يمكن أن يقال أصبح في يد جمال فجأة. إنه رئيس لدولة مصغرة، منصب لم يكن يتمناه ولا في أحلامه حتى، وحينمـــا أفسحوا الطريق للرئيس الجديد ليجلس على كرســـي الرجـــل الأيرلندي. كان أعضاء مجلس الإدارة يتغامزون فيمـــا بينـــهم استهزاءً به لذا حينما جلس جمال على كرسي رئيس المنظمـــة وحاز لقب الرجل الأيرلندي. كان أول قرار له صدمة للجميع ولم يكن يتخيله أحد. كان القرار قتل لوسيان وهيرفيه وهمـــا القطبان المتصارعان في مجلس الإدارة، حينها نظر الجميـــع إلى بعضهم البعض ولم يفعل أحد شيئًا لا تمردًا علي تنفيذ الأوامـــر ولكنه الارتباك والدهشة، وحينما أعادها جمال بصوت عال تم تنفيذ الأمر فورًا وقُتل الرجلان والذهول يسيطر على الجميـــع. هل حقًا هذا هو جمال الذي انتخبناه لأنه الأضعف؟

كم من القيادات تم اختيارها لأنها الأضعف حتى إذا تولت السلطة كشَّرت عن أنيابها وبطشت أولاً بمن أوصلها للكرسي. لقد سأل جمال نفسه كثيرًا من قبل ما الذي يمكن أن يحدث بعد وفاه الرجل الأيرلندي؟ تخيل سيناريوهات عديدة لهذا اليوم، لم يكن من بينها بالطبع ما حدث، ولكنه مع ذلك نجح في توطيد دعائم ملكه وإثبات جدارته بتولي هذا الأمر.

سيظنني الكثيرون في مصر حانوتيًا ولكن حـين يـروني أركب أحدث السيارات ويـتم استـضافتي في القنـوات الفضائية فسيعلمون معنى إخصائي تحنيط. ولكن لا أدري ما الذي يجعلني لا أشعر بالارتياح مع هؤلاء الناس؟ ما الـذي جعلني للآن لا أعد فردًا منهم؟ هل هذه طبيعـة الأمـاكن الحساسة كهذه النوعية من الأعمال؟ أو السبب هو الحراسة المفروضة عليَّ في كل تحركاتي. أم لعله التهديد المستتر الذي أتلقاه كثيرًا. لقد نسيت أمرًا مهمًا، كان مـن المفتـرض أن أعطي مواصفات الفرن لتوماس حتى يكون جاهزًا.

قام واتصل بتوماس فلم يجب، وحينما ذهب إلى غرفتـه وطرق الباب كثيرًا لم يجب أيضا، فنزل إلى الكافيتيريا لشرب كوب من اللبن ليستطيع النوم، وحينما همَّ بالدخول وجـد توماس يجلس في أحد أركانها. كان منشغلاً بالحديث حتى أنه لم يلحظ دخول مصطفى الذي ذهب سريعًا إلى أحد الأركان بعيدًا عن عينيه وتطلع مصطفى ليرى من يجلس معه. كانت امرأة يبدو شكلها مألوفًا، لا يدري أين رآها من قبل حينها أخرج هاتفه المحمول والتقط لهم صورة، وحينما أنهى كوب اللبن تسلل خارجًا وصعد إلى غرفته فكر أن يطرق البـاب على مينا ولكنه خشي أن يكون نائمًا فذهب إلى غرفته ونام.

كان يقول في نفسه هو يعرف كل شيء عني، سأخبره أني أيضا أعرف تحركاته وسهراته

فرن التجفيف

ورشة حدادة كبيرة كان يقف على بابها توماس ومينا ومصطفى، عاين مصطفى الفرن الذي طلبه بمواصفات خاصة كمؤشر حرارة يبين درجة حرارته ومؤقت زمني يطفئ الفرن آليًا، أما في المنتصف فكانت هناك ألواح خشبية مدهونة بعازل للحرارة والنار وهذه الألواح بها أحزمة لربط الشيء الذي سيوضع عليها كما أنها يمكن تحريكها وتقليبها. سأل مصطفى: هل يكفي سمك هذه الألواح لحماية الجثة من الاحتراق؟ أجابه الصانع: بالطبع وتستطيع أن تتحكم في درجة حرارة الفرن حسب ما ستضع فيه، فإن كنت ستضع فيه دجاجة غير خروف غير بقرة غير حتى إنسان. هنا ضحك مينا وتوماس وكأن الرجل يقول طُرفة!!

العـودة

ظل مصطفى يتظاهر بأنه لا يشغل باله بأمر كيفية الوصول إلى المزرعة، وفي طريق العودة كان يظهر عدم

اهتمامه بالطريق والعنوان وإن كان في قرارة نفسه متأكـدًا أهم يسلكون طريقًا مختلفة في كل مـرة. سـأل مـصطفى توماس: لقد طرقت الباب عليك كـثيرًا بالأمس،فلمـاذا لم تجب؟ فتعجب توماس قائلاً: مع أني لم أنزل من غرفتي ونمت نومًا عميقا، فأسرّها مصطفى في نفسه ولم يبدها له. قال مينا لمصطفي أرى أنك كثيرًا ما تصاب بالأرق فقد حدث ذلـك معك مرارًا. قال مصطفى: نعم ولا أدري لذلك سببًا حـتى الآن قال مينا: لعله فارق التوقيت وسوف تعتاد عليه بعـد ذلك.

مع الشيخ

"سامح": لقد أخذ سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أربعة مـن الطير التي لا تطير وذبحها. ولكن أين الإشارة إلى الذبح في الآية الكريمة:

{ ...فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ... (٢٦٠) }

البقرة.

إن صرهن (بضم الصاد وكسرها) فعل أمر من صار يصور أو من صار يصير بمعنى ضم أو مال وهناك مـن قـال مـن المفسرين أن صرهن تعني الذبح والتقطيع، جعل في الآية تقديمًا وتأخيرًا، أي (فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن) بـدلاً مـن

الآية {.. فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ (٢٦٠) } البقرة..

قاطعه الشيخ قائلاً: هذا صحيح حتى أن الشيخ الشعراوي قال أنه لا يوجد دليل علي أنه قام بالتجربة من الأساس. فأكمل "سامح" حديثه: إذا كان سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أخذ أربعة من الطير التي لا تطير و لم يذبحها فكيف ماتت؟! أين المعجزة إذاً؟! ثم كيف يجعل علي كل جبل منهن جزءاً وهن لم يذبحن؟ إن هذا أمر محير.

رد الشيخ: إذا افترضنا وأكرر إذا افترضنا أن كلامك صحيح فإن جزءاً هنا لا تعني جزءاً من الطائر بل جزءاً من الطير كله أي طائر من الطيور الأربعة، وفي اللغة هناك فارق بين البعض والجزء، فالبعض لا يقوم بذاته كالبعض الذي ذكر في قصة بقره بني إسرائيل:

{ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ...... (٧٣) } البقرة.

أما الجزء فيقوم بذاته، فالكافرون سيقسمون أجزاءً توزع علي أبواب جهنم السبع وذلك كما قال تعالي:

{ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤) } الحجر.

المزرعة

طلب مصطفى من مساعديه إشعال الفرن ثم طلب منهم إحضار الجسد وعند درجة حرارة 92 ضبط مصطفى حرارة الفرن ثم جعل مؤقت الفرن على مدة ساعة. وكل فترة يقوم بفحصها. كان مينا لا يتحدث كثيرًا في أثناء العمل بل كان يتابع باهتمام شديد كأنه يريد التعلم. سأله مينا: لماذا 92 درجة مئوية؟ ولماذا ساعة؟ أخبره مصطفى أنها مسألة اجتهادية لا أكثر، فدرجة حرارة 92 مئوية دون درجة الغليان أما مدة الساعة فهي أقل مدة يتوقعها ليجف الجسد وهو سيتابعها أولاً بأول. ظل مصطفي يتابع الجسد في الفرن وبعد فترة أخرجه وعاينه. قال: الآن انتهينا من عملية التجفيف. بدأ مصطفى أخيرًا يتعامل مع الجسد كمومياء، خاصة بعد انتهاء مراحل إخلاء الرأس وإخلاء البطن لذا كان يفتح الفرن ويقوم بتقليب الجسد فيه بشكل طبيعي.

العروس

عندما وصلته الأسطوانة التي عليها صورة الفتاة المرشحة عروسًا له، أعاد مشاهدتها مرات عديدة، وكلما جاءت صورتها ثبت الصورة. وفي النهاية طبع صورتها لكي يراها

جيدًا. وحينما تحدث مع شاكر وسأله عن رأيه في العروس قال له: لقد رأيت الحفل مرة واحدة فقط وأظن ألا بأس بها. رد شاكر: أنت كاذب وأتحداك أنك أعدت تشغيلها عدة مرات ولعلك طبعت صورها أيضًا. قال "سامح" متعجبًا: هذا والله ما حدث بالضبط وبصراحة لقد أعجبتني.

صعد "سامح" إلى غرفته فوجد فيرناندو يقابله بترحاب قائلاً: هل أستطيع أن أتحدث إليك قليلاً؟ أجابه "سامح": بالطبع، أكمل فيرناندو إذن هيا بنا نجلس في الشرفة فالهواء جميل الآن. قال "سامح": من هذا؟ أهذا فيرناندو الذي يتحدث إليّ؟ لم يقلها "سامح" في نفسه هذه المرة وإنما علانية جعلت فيرناندو ينظر له معاتبًا، فأشار "سامح" بيديه معتذرًا وخرج معه إلى الشرفة. أخذا يتحدثان في أمور مختلفة عن الدكتور ساو الذي حصل على شهادة الدكتوراه وعن آدمز الذي وفى بوعده بتعيين ساو نائبًا له في المجموعة الجديدة وكذلك تحدثوا عن ماري التي وزعت عليهم الحلوى اليوم ابتهاجًا بحملها. لقد أصبح الكل سعيدًا، هكذا علق فيرناندو على هذا اليوم، وحينما سأل "سامح" عن معنى اسمه، شرحه له، فقال له فيرناندو: إذن أنت فورجيف فورجتين. ضحك الاثنان كثيرًا حتى قال "سامح" تجلس معي في الشرفة وتمزح أيضًا!!

قال فيرناندو إن موعد مناقشة رسالته قد اقترب وهو يشعر أنه أخيرا سيحصل على غايته التي كافح من أجلها.

اليوم الرابع في التحنيط

الحشو الدائم

بعد أن انتهى من عملية التجفيف أخرج مصطفى الحشو المؤقت الذي كان قد وضعه من قبل كي يكون الجسد ثابتًا وهو يقوم بعمله عليه وجاء دور استبدال الحشو المؤقت بالحشو الدائم وهي لفافات كتان وبصل ومر وقرفة ونشارة خشب عطري.

أوضح لهم مصطفى أن الفراعنة في مراحل سابقة كانوا يقومون بالحشو تحت الجلد وكان هذا يتطلب مهارة عالية جدًا ولكنهم كانوا يقومون بهذه الخطوة لأسباب دينية نظر مصطفى إلى الكاميرا قائلا: هيا نبدأ العمل اليوم. صب الزيوت والدهون. حينها طلب من مساعديه إحضار الراتنج. كان يشرح لمينا وتوماس أهمية صب الزيوت والدهون لمعالجة ما حدث للجسم في أثناء عملية التجفيف من تغير للون (البني الغامق) وصلابة شديدة في الجلد مما يؤدي إلى تشققه، بل وانكساره. والراتنج زيت يؤخذ من شجرة الأرز أما زيت الأرز والدهون النباتية واللبان الدكر وزيت التربنتينا وشمع النحل. كان مساعداه يتأخران كثيرا في إحضار هذه المواد حتى شعر أنهما يتكاسلان. وكل هذه المواد كانت

تستخدم في الحشو الدائم. صب مصطفى الكثير مـــن هـــذه الزيوت وقال الآن نغلق فتحة التحنـــيط. فجـــاء أحـــدهم وأخبرهم بأن الغداء جاهز، تعجب مصطفى لأن الوقت مـــا زال مبكرًا. وقال: فلننتظر حتى نغلق فتحة التحنيط. قـــال مساعداه إننا جائعان وأكد مينا ذلك أيضا، حينئـــذ قـــال توماس: إذا نكمل عملنا بعد الغداء.

فيرناندو

بدأ فيرناندو تعليمه متأخرًا فقد عمل في إحـــدى الـــورش لتصليح السيارات حتى مات أبوه وربّاه عمه الذي أهمل هـــو الآخر في تربيته فكانت أكثرها في الشوارع إلى أن دخـــل دارًا لرعاية الأحداث. هنا انعقد حاجبا "سامح" دهشة وهو يقول: دار لرعاية الأحداث.وفي الدار بدأ فيرنانـــدو يـــتعلم القـــراءة والكتابة وبدا لمشرفي الدار أن هذا الولد الذي تخطـــى الثانيـــة عشرة من عمره لن يكمل تعليمه ولكنه أكمل تعليمه الابتدائي ثم الذي يليه إلى أن أنهى فترة الإصلاحية، ولما كان كـــبيرًا في السن فلم يجد جامعة تقبله في ذلك الوقت حتى استطاع أخيرًا دخول كلية الزراعة وسرعان ما اجتهد بها وإن كان قد دخلها متأخرًا هذه المرة أيضًا. علّق "سامح" قائلاً: إذًا فتأخرك لهـــذه السن في نيل الدكتوراه لم يكن تقصيرًا منك ولكـــن بـــسبب التعليم المتأخر، فأومأ فيرناندو برأسه.

عبث بالجثة

بعد أن أنهوا غداءهم ورجعوا إلى عملهم، لاحظ مصطفى أن الحشو الذي وضعه توًا قبل الغداء ليس على الحالة التي تركه عليها. لم يظهر مصطفى أي تعجب وتابع عمله كأنه لم ير شيئا.

تحدث مع الدكتور رولاند في أنه لابد من غلق ثماني فتحات غير فتحة التحنيط، العينين، والأذنين، وفتحتي الأنف والفم، وفتحة الشرج.

طلب إلى الطبيب أن يضغط بيديه حتى يسقط مقلتيه في محجريهما ثم أعطى الطبيب قشر بصل ليضعه على العين لمنع دخول البكتريا ثم لصق الجفنين بالشمع وهكذا فعل حتى في فتحة التحنيط أغلقها بالشمع، فقال الدكتور رولاند بل نغلق الفتحة بخياطتها. إلا أن مصطفى أخبرهم بأن يرجئوا ذلك للغد وحاول توماس إقناعه بخياطة المكان فلم يقبل مصطفى متعللاً أن الجسد ما زالت عليه الدهون والزيوت.

كيف ماتت الطير؟

كان "سامح" معتكفًا بالمركز الإسلامي في العشر الأواخر من رمضان وكانت هذا الخلوة فرصة طيبة لكي يفكر في تجربته. أخذ يحدث نفسه كيف ماتت الطير؟ إن سر هذا الأمر

يكمن في الجبل. لماذا لم يقم سيدنا إبراهيم بإجراء التجربة أمامه في بيته دون تكلف مشقة صعود الجبل ومخاطر الهبوط منه؟ هل في صعود الجبل إشارة إلى طبقات الجو العليا قليلة الأوكسجين؟ إن الطير التي تطير يتحمل جهازها التنفسي قلة الأوكسجين وذلك لأن الله تعالى زوّدها بأكياس هوائية هي بمثابة خزانات للهواء، حتى إن عظامها أيضا تحوي هذه الأكياس لذلك فهي خفيفة في طيرانها، وعظامها...عظامها... وجدتها.. إن الطير التي لا تطير ومنها الكيوي عظامها كعظامنا، نعم كعظامنا تمتلئ بالنخاع لا بأكياس الهواء لكي تكون سيقانها راسخة تساعدها علي السعي لأنها ليست بحاجة إلى الطيران.

هل يعني هذا أن الطير ماتت مختنقة ورأى سيدنا إبراهيم ذلك ثم دعاها إليه فجاءت تسعى؟

التجربة

هل إذا صعدنا بطائر الكيوي إلى مكان مرتفع نتنفس نحن فيه بصعوبة سوف يختنق ويموت؟ تعجب البروفسير من كلام "سامح" الذي أعاد سؤاله عليه وطلب منه تجربة هذا الأمر في العطلة القادمة. لم يوافق البروفسير علي تجربتها في العطلة بل في أيام العمل.

وفي اليوم التالي كان "سامح" ونعيم وساو وماري وآدمــز وبالطبع طائر الكيوي في طائرة هيلكوبتر أخذت في الارتفــاع هم حتى وصلت إلى قمة جبل، كل هذا وسامح يراقب طــائر الكيوي الذي لم يظهر عليه أي تأثر بالارتفاع. هبطوا جميعًــا على قمة الجبل وبعد فترة، بدأت تظهر علامات الاختناق على الطائر. حاولت ماري إسعافه بجهاز تنفس صــناعي خــاص بالطيور إلا أن البروفسير أشار لها بالتمهل قليلاً حتى يتأكد من علامات الاختناق وبعدها طلب منها إسعافه ففعلت.

النــوم

هذه المرة كان مصطفي يكذب أيضًا فهو لم يقفل فتحة التحنيط لسبب آخر فهو يريد أن يعرف من حرّك الحــشو بداخل الجسد.

وجد الباب يطرق، وجده مينا الذي قال له: ما رأيــك بشرب كوب من الشاي والتحدث قليلا فأنا لا أعلم ما هذا الأرق الذي أصابني، هيا أنتظرك بالأسفل.

سأله مينا: لماذا لم تغلق فتحة التحنيط؟ قال مصطفى: أظن أنني أخبرتك بالسبب أم أنك لم تقتنع بما قلت؟ قال مينا: إلى حد ما ولكن ما دخلي فأنت الخبير. ولكن أخــبرني لمــاذا

تركت بلدك وجئت تعمل هنا في محل مع أنك ميسور الحال؟ سكت مصطفى قليلاً ثم قال له: أتعلم أنني أصبحت أحب الجلوس إليك والتحدث معك... أتدري لماذا؟ لأنني بهذا أختبر ذكائي. أنت لست ألمانيًا يا مينا.. قال مينا: دعني أنا أيضا أختبر ذكائي، أنا لست ألمانيًا بسبب لكنتي أم هو شيء آخر.

قال مصطفى: بل لطباعك. أتعرف النكتة التي تقال عن الألماني حينما تسأله هل تعلم كم الوقت الآن؟ أجابه مينا: يجيبك أعلم ويسكت. ما علاقة هذا بحديثنا؟ قال مصطفى: أنت حينما تريد التحدث في موضوع لا تأتي وتتحدث فيه مباشرة بل تنتقل من موضوع إلى موضوع إلى آخر حتى تصل للأمر الذي كنت تريد الحديث فيه. لذلك أنت لست ألمانيًا أبدًا. بدأ النعاس يغالب مصطفى بشدة، أكمل كلامه: فهلا أخبرتني مباشرة ماذا تريد؟ كان لا يستطيع أن يفتح جفنيه حينها قال مينا أرى أن نكمل حديثنا في وقت لاحق فالنوم قد هاجمك. تصبح على خير، وتركه وصعد إلى غرفته.

قام مصطفى هو الآخر متعجبًا من سر هذا النوم المفاجئ، لعله تعب اليوم بأكمله أو لعله بدأ يعتاد على نظام اليوم الذي يعمل به. صعد إلى غرفته بصعوبة وكاد ينام على السلم. دخل وضبط المنبه على الساعة الواحدة صباحًا كي ينزل ويرى ما وضعوه في الحشو.. ونام.

عم يتساءلون

في المعمل جاء فيرناندو متهللاً إلى "سامح"، لقد تم تحديد موعد لمناقشة رسالته، وتحدث مع "سامح" حول تجربة الأمس وسأله ما الذي جعله متأكدًا إلى هذا الحد من نجاحها؟ أكد "سامح" أنها مسألة تخمين واستنتاج لا أكثر.

كان "سامح" يتعجب من فيرناندو، كأنّه يقوم بدورين في هذه الحياة. الدور الأول شخصية كئيبة كارهة للحياة وكارهة لكل شخص حولها، أما الدور الثاني فشخص متفائل بقرب حصوله علي الدكتوراه بشوش يحب كل من حوله. أخرجه نعيم من تأملاته قائلاً: أظن أنه من حقي أن تشرح لي تجربة الأمس وأرجو ألا تقول لي تخمين واستنتاج وما شابه، قال "سامح": لا بل أنت الوحيد الذي أستطيع أن أصرّح له بمكنون قلبي. هل قرأت الآية 260 من سورة البقرة، تلك التي تحدثت عن قصّة نبي الله إبراهيم عليه السلام والطير. قال نعيم: أتذكرها ولكن ليس بالتفصيل. أمره الله تعالى أن يأخذ أربعة من الطير ويجعل علي كل جبل من الجبال جزءًا ثم يناديهن فيأتينه سعيًا. هل وضحت الآية لك الآن؟

قال نعيم: بالطبع تذكرتها ولكن ما علاقة هذا بطائر الكيوي وبتجربتنا؟ قال "سامح": بعد تدبر طويل في هذه الآية،

أرى –والله أعلم– أن سيدنا إبراهيم صعد بأربعة طيور لا تطير وجعل علي كل جبل من الجبال طيرًا ثم رآها تموت أمامه مختنقة لقلة الأوكسجين ثم نزل ودعاها إليه فأتته سعيًا. قال نعيم بعد قليل من الصمت: ما من دليل في هذه الآية علي ما تقول.

أخبر البروفسير "سامح" أنه ينوي إعادة التجربة بطائرين من الكيوي، فأشار عليه "سامح" أن يجعلهم أربعة وحينما سأله عن السبب أجابه "سامح" بأن ذلك سيكون أنسب من الناحية الإحصائية

فكل طير سيمثل 25% من نتيجة التجربة مع مراعاة تماثل عينة البحث في العمر والجنس والوزن وخلوها من الأمراض قدر المستطاع فوافق البروفسير و لم يخبره "سامح" أنه استقي الرقم أربعة من الآية أيضا.

وفي اليوم التالي ذهب "سامح" مع فريق البحث من قسم الحيوان بالجامعة، وفريق من البيئة لأن الكيوي طائر معرض للانقراض، وفتاتين من جمعية المحافظة علي طائر الكيوي وأخذوا جميعًا في التأكيد علي البروفسير بأخذ الوسائل اللازمة لحماية الطائر وأنهم يحمِّلونه المسئولية في حالة موت أحد هذه الطيور. تعجب "سامح" أيّما عجب، لا يدري لماذا تذكر في هذا الوقت مشهد الطفل الفلسطيني "محمد الدرة" وأبوه يشير إلى الجنود الإسرائيليين بالتوقف عن إطلاق النار تجاههما. قتلوا الولد بين يدي أبيه وأمام كاميرات تصوير نقلتها للعالم كله!!

أين كان هؤلاء المدافعون عن الكيوي وقتها؟!! ألا توجد جمعية واحدة للمحافظة علي أرواح الأطفال؟ أفاق حينما هبطت الطائرة علي سفح الجبل. نزل فريق العمل الكبير وكل واحد يعلم دوره. تراجع "سامح" قليلاً وترك كل فرد يقوم بعمله، فدعاه البروفسير وسط هذا الحشد قائلاً: "سامح" من فضلك أقبل وابدأ تجربتك. بدأ أحد الطيور في الاختناق ثم تبعها الباقي.

الاستيقاظ متأخرًا

قام مصطفى من نومه، نظر في ساعته فوجدها الثانية عشرة ظهرًا وليس مساءً!!

رباه لقد نمت كل هذا... لماذا لم أستيقظ على صوت المنبه؟ ثم لماذا يشعر بثقل رأسه وإنهاك جسده هكذا؟ أخذ يتذكر ما حدث بالأمس فتذكر جلسته مع مينا مساءً وتناوله الشاي.لعله وضع لي منومًا في الشاي فبمجرد أن أنهيت شربه أنهى هو حديثه وصعد إلى غرفته. لقد سألني لماذا لم تغلق فتحة التحنيط؟ لم يكن مقتنعًا بما قلت. من المؤكد أنني إن نزلت الآن سأجدهم قد أغلقوها. وإذا وجدتهم كذلك ماذا أفعل؟ هل أعلنها صريحة أنني أريد مشاهدة الحشو؟ أم كأن شيئًا لم يكن وأكمل عملي، خاصة أنني بدأت أنهي عملي وقد لا يكونون في احتياج لي الآن.. ماذا أفعل؟

اليوم الخامس في التحنيط

التكفين

دخل عليهم مبتسمًا ومعتذرًا لتأخره، رد توماس: لقد وجدناك متعبًا فلم نشأ أن نوقظك، شكره مصطفى على هذا ولم يظهر لهم شيئًا، وشكر رولاند أنه قام بغلق فتحة التحنيط ولم ينتظر نزوله. كان يتصرف كأنه لا يفهم شيئًا على الإطلاق. نظر إلى الكاميرا حتى يتكلم فوجدها لا تعمل. فتظاهر بأنه لم يلحظ ذلك وقال وهو ينظر إليها: الآن أيها السادة الخطوة الأخيرة لتستريحوا مني. خطوة التكفين. هيا بنا.

أتى مصطفى بالكتان ولفَّ به الكتف مرورًا بالرأس ثم قطعة أخرى ولفها من أسفل الذقن وعقدها على قمة الرأس.. ثم لف الذراعين وعقدهما على الجذع ثم مد اللفائف من أسفل الرأس حتى الساقين والقدمين ثم قال: أيها السادة الآن أعلن لكم تحنيط أول جسد... إفراج... إفراج للجميع...

توابع التجربة

كانت هذه هي المرة الثانية التي يدخل فيها "سامح" إلى قاعة التفكر. دخلها لا لينام كالمرة السابقة وإنما ليستعيد صفاء

ذهنه. دخل عليه آدمز وبيده جريدة بها صورته مع الأقفاص الأربع على الجبل قائلاً له: لقد أصبحت مشهورًا يا "سامح"، فشكره موضحًا أنه السبب في ذلك، فقد دعاه أمام الجميع لينفّذ تجربته فأجابه أنها لو كانت تجربته هو لنفذها بنفسه.

في المساء ذهب إلى المركز الإسلامي ليقص على الشيخ عبد البديع تجربته وما تم فيها والذي قال له: أخبرني يا "سامح" هل تمت كما كتب في الجرائد؟ قال "سامح": نعم وكما توقعتها تمامًا بفضل الله، والحمد لله أنهم أسعفوا الطيور قبل أن تختنق وإلا كان رجال البيئة ونساء المحافظة على طائر الكيوي قد ألقوا بنا من على قمة الجبل.

تحدث مع أسرته على النت وأراهم صورته في الجرائد وأعلمهم بشرح تجربته أمام وسائل الأعلام فوق الجبل، ثم تحدث كذلك مع شاكر الذي كان يمسك بورقة أمام الكاميرا قائلاً له اقرأ فقرأها "سامح" "شركة الصديقان" ... قال شاكر: هذه شركتنا أنت وأنا، قال "سامح": أنت تعلم جيدًا أني لا أفهم شيئًا في التجارة، رد شاكر: أنت شريك على الورق فقط فأنا المدير ولي الحق في كل شيء أما أنت فليس لك الحق لا في الإدارة ولا التدخل في العمل ولا أن تأتي للعمل من الأساس، كل ما عليك فعله هو قبض أرباحك وفقط. قال "سامح": لا هذا مجهود كبير عليَّ.

بعـــد التحنيـــط

هذا اليوم لن أنساه في حياتي. لقد خطوت أول خطـــوة عملية في مجال التحنيط. الآن فقط أستطيع ان أرد على كل من لاموني في دخول كلية الآثار والدراسة المتعمقـــة للغـــة الألمانية. كان يشعر بالفخر ولكن كم يـــا تـــرى ســـيعطيني توماس مقابل ما فعلت؟ سأله مصطفى هذا السؤال فرد عليه بأنه سيكون كما وعده. هل تحب أن تأخذ مالك بـــشيك أم نقدًا. قال مصطفى: النقود رأي العين لها مذاق خاص، فقال له: اتفقنا. صعد توماس إلى غرفته وأعطى له مبلغًا من المـــال وقال له هذه 20000 ووصلك 5000 من قبل يكـــون المجموع 25000. حسبها مـــصطفى في ذهنـــه فوجـــدها تقارب 200000 من الجنيهات المصرية فأعجبـــه ذلـــك كثيرًا. قال له توماس: هل رضيت؟ قـــال مـــصطفى: نعـــم وشكرًا لك. ولكن أخبرني أين مينا؟ قـــال تومـــاس ذهـــب لتسليم الجسد إلى المستشفى تمهيدًا لنقله إلى فرنسا. تعجب مصطفى، إلى فرنسا؟ أليس الجسد هندي؟! بدا الارتباك قليلاً على وجه توماس ولكنه قال: هذه رغبة أهله. المهم ســـواء كنت في ألمانيا أو في مصر لا تغيِّر رقم هاتفك حتى نـــستطيع

الاتصال بك حينما يحين موعد العمل القادم. قال مصطفى: من هذه الناحية اطمئن فأنا من سيبحث عنك ويسألك عــن العمل القادم. ولكن لي عندك رجاء، قال توماس: تفــضل، قال مصطفى: أرجو في العمل القادم أن تعتبرني واحدًا منكم وأظن أن هذا العمل الذي أنهيناه توًا قد جعل بيننا قدرًا من الثقة يكفي لذلك. قال توماس: بكل تأكيد ونحن مــن الآن نعتبرك واحدًا منا. قال مصطفى: هل أستطيع الذهاب الآن؟ قال توماس: سأرسل معك من يوصـــلك إلى البنـــك ثم إلى الفندق وبعدها أنت حر. شكره مصطفى وودّعه وانـــصرف ومعه رجلان مسلحان أمرهما تومـــاس أن يلازمـــاه إلى أن يطلب منهما مصطفى الانصراف. كـــان يجلـــس في مقعـــد السيارة الخلفي والرجلان في الأمام فشعر كأنه رجل أعمال كالذين يراهم في الأفلام ومعهم الحرس الخاص بهـــم. قـــام بتحويل **23000** يورو وترك لنفسه **2000** حتى يستطيع دفع مصاريف الفندق وتذاكر الطائرة. ثم توجه إلى الفندق.

مطعم القاهـرة

شعر بالجوع وشعر معه بالحنين إلى الأكلات المصرية فذهب إلى أحد المطاعم التي يملكها مصري وأكل ما اشتهته نفسه من ملوخية ومحشي. لم يأكل هذا الطعام منذ أن قدم إلى أستراليا.

وفي طريق عودته لم يسلك الطريق العام كما اعتاد وإنما سلك طريقًا جانبيًا والذي رأى فيه اثنين تبدو عليهما ملامح شعب أمريكا الجنوبية يمسكان برجل ويوسعانه ضربًا.

همَّ بالانصراف إلا أنه قال في نفسه: ما هذه السلبية؟ فأسرع تجاه الشارع الرئيسي الذي تقطعه سيارات الشرطة جيئة وذهابًا واستدعى إحداها، وحينما ذهب لموقع الحادثة كان الرجلان قد أجهزا على الضحية فأطبقت عليهما الشرطة التي أحاطت بالمكان من كل جانب وتم القبض عليهما. نظر أحدهما إلى "سامح" وأشار بيده إلى رقبته، فأصاب "سامح" الرعب، وحينما جاء الشرطي وأعلمه أنه قد يطلب للشهادة في المحكمة حكى له عن التهديد الذي حدث معه.

كان الأمر الوحيد الذي طمأن "سامح" أنهم لن يعرفوا عنوانه. أخذ يتلفت حوله وينظر أمامه وخلفه إلى أن وصل إلى المدينة الجامعية. توضأ ثم نام ... كانت ليلة مليئة بالكوابيس المزعجة. وفي الصباح حينما فتح باب غرفته وهمّ بالخروج وجد ورقة معلقة على الباب مكتوب عليها اسمه كاملاً باللغة الإنجليزية ومكتوب تحتها "إما أن تشهد بما نريد وإما لن تشهد بأي شيء"، اتصل بنعيم ليمر عليه واصطحبه إلى الجامعة، وفي الطريق قصَّ عليه ما حدث وهو متوتر ... طمأنه نعيم وقال له: دع هذا الأمر لي.

الفندق

قام من فراشه محاولاً طرد الهواجس من رأسـه لكنـها لم تطرد بل أخذت في ازدياد. إلى فرنسا... كيف وأهله بالهند؟ ثم إن الهنود يحرقون جثثهم ولا يحنطونها. لماذا يضع لي مينـا منومًا في الشاي؟ ماذا وضعوا بـداخل الجـسد؟ ربـاه ألا أستطيع أن أطرد هذه الأفكار من رأسـي حـتى أسـتمتع بإنجازي. لقد وضعوا شيئا لا يريدونني أن أراه. هـل هـم عصابة للتهريب؟ طرق النادل باب غرفته وأخبره أن هنـاك رسالة من شخص بالأسفل طلب تسليمها له. وجد مكتوبًـا فيها "أنا بانتظارك في الكافيتريا بالأسفل إن كان هنـاك مـا تريد قوله لي"، ومعها بطاقة مدوَّن فيها "بيتر فلاميني"، ضابط شرطة بمكافحة التهريب. احتفظ بالكارت ثم سأل نفسه: هل يقابله أم لا؟ هل يهرب؟ ثم قال: أهرب من مـاذا؟ ألـيس عملهم قانونيًا كما يقولون، إذًا لم لا أقابله؟

الشيخ عبد البديع

بعد أن فرغ من صلاة العـشاء -كعادتـه- في المركـز الإسلامي، جلس "سامح" يتسامر مع الشيخ عبـد البـديع، الحاصل على الماجستير في علوم القرآن وفي طريقه للحـصول

على شهادة العالمية -الدكتوراه- من جامعة الأزهر الشريف. له أربعة كتب مطبوعة ومترجمة إلى الإنجليزية. قوي الحجة، فلم يكن حنفي المذهب فقط بل وحنفي الشخصية والعقل. كان يمتاز بما يمتاز به الإمام "أبو حنيفة" -إمام أهل الرأي- من قوة الحجة ورجاحة العقل والذي قال عنه الإمام مالك: (هذا الرجل الذي لو جادلكم أن سارية هذا المسجد ذهب - وهي من الخشب - لغلبكم ولخرج محتجًا بما قال).

أنهى عبد البديع رحومه دراسته بالأزهر وحاول أن يلتحق بوظيفة مدرس بإحدى المعاهد الأزهرية وكان يعمل فيها بعقد مؤقت، وحينما جاء أحد أقاربه من الخارج وكان يعمل هنا في أستراليا أخبره أنه يستطيع تدبير وظيفة له معه في المطعم إن استطاع هو أن يحصل على التأشيرة، فحاول الحصول عليها وفشل ثلاث مرات. وقبل شهر رمضان اتصل به قريبه وأخبره أنهم يريدون من يصلي بهم التراويح في رمضان بالمركز الإسلامي. ذهب للسفارة على هذا الأساس، وعلم منه موظف السفارة السبب فاستدعى أحد العاملين المصريين لاختباره ففتح مصحفًا وطلب منه التسميع وانتقل به من موضع إلى موضع وهو يقرأ بطلاقة حتى أشار الموظف إلى العامل المصري بالتوقف وأعطى الشيخ التأشيرة.

أعجب الجميع بقراءة الشيخ عبد البديع للقرآن وبصوته العذب حتى الشيخ رمضان إمام المسجد وموفد الأزهر الشريف

كان يقدم الشيخ عبد البديع للإمامة وعندما مـــرض، خطـــب الشيخ عبد البديع خطبة الجمعة مكانه مرتين. ولمـــا أشـــرف الشيخ رمضان على بلوغ سن المعاش بذل مجهودًا كبيرًا حـــتى يتم تعيين عبد البديع مكانه فعاد إلى مصر لإجـــراء مقابلـــة في الأزهر وتم تعيينه.

مع الضابط

أشار له شخص يجلس وحيدًا إلى طاولة بالكافيتريا. كان ضخم الجثة ذو شارب كثيف، جلس مصطفى إلى طاولتـــه، وأخرج الرجل شارة الشرطة من جيبه وعرَّفه بنفسه. قـــال مصطفى: أخبرني ماذا تريد مني؟ قال بيتر: بل أنت أخـــبرني هل هناك شيء تود إخباري به حول توماس ومينا وشـــركة التحنيط؟ سكت مصطفى قليلاً ثم قال إن الشركة عملـــها قانوني أليس كذلك؟ قال بيتر: أوراقها قانونية نعم أما عملها فهذا ما أريد أن أعرفه منك. هل تشك في شيء؟ هل أنـــت مرتاب فيما يقومون به من وراء هذه الشركة؟ إن عملـــهم يقلقنا بالرغم من قانونية شركتهم، فكـــم مـــن الـــشركات القانونية أعمالها غير مشروعة. هل تريد إخباري بشيء عـــن هذا الأمر؟ قال مصطفى: أولاً هناك سؤال يحـــيرني لمـــاذا لم

تستدعني رسميًا؟ قال بيتر: لسببين، الأول أننا لا نملـــك أي دليل يجعلنا نستدعيك إلى القسم، والثاني أنني متأكد من أن رجال توماس يراقبون تحركاتك الآن لـــذا أردت توريطـــك معي، لأنهم حينما ينقلون لتوماس أننا كنا نجلس ونتحـــدث، فسيتأكد من شكّه فيك وأنك عميل للشرطة. هل ستخبرني إذًا بأي شكوك حول هذه الشرك؟ قال مصطفى: أنا أعمـــل بشركة قانونية وسأقص عليك كل ما حدث.

قال بيتر: وأعدك إن كان هناك شيء غير قانوني أنـــك ستكون مجرد شاهد بالقضية، عقب مصطفى: اتفقنا ولكـــن بشرط أن يكون ذلك في قسم الشرطة وفي إفادات رسميـــة، قال بيتر: ولم لا؟ هذا عنوان قسم الشرطة الذي أتبعه. هـــل ستأتي معي الآن؟

قال: لا.. فالعمل مع هؤلاء الناس جعلني أشك في كـــل من حولي. سألحق بك هناك. قال بيتر: وهو كذلك أنـــا في انتظارك، ولكن دعني أشرح لك، إن هربت من اللقاء لـــن يكون ذلك في مصلحتك أبدًا وحينها أســـتطيع أن أحـــول العمل الودي إلى رسمي.

صعد مصطفى إلى غرفته وقال في نفســه: ضابط شـــرطة يأتي إلى الفندق. لابد أن هذا اختبار من توماس، ولكن ماذا

إن كان فعلا ضابطًا بالشرطة ولم أذهب. عندها سأكون حتمًا مشتركًا معهم في عملهم غير القانوني. هذا إن كان عملهم غير قانوني.. وماذا إن كان اختبارًا من توماس وذهبت؟ هنا سيتأكد توماس من ظنه أنني عميل للشرطة وأنني خنت مبدأ السرية المتفق عليه بيننا.. ولا أدري ماذا سيفعل بي حينها.. الحل أن أمسك العصا من المنتصف. ارتدى ملابسه ودفع حساب الفندق ثم سأل موظف الاستقبال هل لديكم باب خلفي؟ فأشار إلى مكان خلف المطعم فخرج منه مسرعًا إلى الشارع وركب أتوبيسًا وهو لا يعلم إلى أين سيذهب. وبعد فترة نزل من الأتوبيس وأشار إلى تاكسي وقال له: أقرب قسم شرطة من فضلك.

مبروك يا فيرناندو

دخل فيرناندو إلى المعمل، كان سعيدًا جدًا وقام بتوزيع الحلوى. كان الجميع يعرف سر سعادته فقد شهدوا جميعًا مناقشته لرسالة الدكتوراه بالأمس.

ودعهم فيرناندو واحدًا واحدًا وأكد على "سامح" أنه سيتحدث إليه من خلال موقع للمحادثة فلعل الصداقة الإلكترونية بينهما تكون أقوى من الصداقة المباشرة.

دخل "سامح" غرفته فشعر بانقباض شديد. أصبح فيها وحيدًا الآن. ولأول مرة يشعر بهذا الشعور. كان يتمنى ذلك

من قبل، أن يستريح من فيرناندو ويعيش وحده ... مـــع أن فيرناندو لم يكن إلا كقطعة خشب مسنّدة لكنـــه في النهايـــة إنسان يعيش معه في الغرفة.

أخبر شاكر "سامح" أن الفتاة المرشحة لــه رأت صـــورته فتقيأت لثلاثة أيام ثم وافقت بعد إلحاح شديد باعتباره الشخص الوحيد الذي اختاره بنكرياسها لخلوه من السكر.

قسم الشرطـة

أصر على مقابلة رئيس قسم الشرطة ولم يقبل التحـــدث مع أحد سواه، فأدخلوه إليه. استقبله العميد وأحسن ضيافته واستمع إليه بإنصات.

قص مصطفى عليه كل ما حدث مـــن أول وصـــوله إلى ألمانيا إلى سكنه وعمله إلى المحل الـــذي يملكـــه تومـــاس إلى اختطافه إلى ورشة التحنيط وما حدث بهـــا ولديـــه أوراق الشركة التي تأكد أنها قانونية. طلبها منه فأخرج مـــصطفى كل ما في حقيبته فلم يجدها وبالطبع لم يكن يعـــرف مقـــر الورشة فلم يذهب إليها من طريق واحـــد مـــرتين. أخـــبر مصطفى العميد بالشرطي الذي أتـــى للفنـــدق وحينمـــا تم الاستعلام عنه في مقر مكافحة التهريب لم يكن لديهم شخص

بهذا الاسم. قال مصطفى إنه يقول الحقيقة ولا شيء غيرها فاستدعى رئيس الشرطة اثنين من ضباط القسم قائلاً لمصطفى: هذان من أكفأ رجالي سيصطحبانك إلى العنازين التي ذكرتها للتأكد من روايتك. قال مصطفى: اثنان لن يكفيان، فهؤلاء الرجال لديهم جيش صغير. حينها أمر رئيس الشرطة أن تتبعهم سيارة شرطة أخرى.

الحل بسيط

توجه نعيم وسامح إلى جمال ليساعدهما في حل مشكلة "سامح". قص عليه "سامح" ما حدث والمكان الذي وقعت به الحادثة وأوصافهما، كان جمال يسأله كأنه يحقق معه حتى إنه سأله عن قسم الشرطة الذي ذهبوا إليه. سأله "سامح" كيف عرفوا عنواني وأنا لم يتبعني أحد؟ قال جمال: من تحقيقات الشرطة التي أخذت عنوانك كي تستدعيك للشهادة فأعطاهم محاميهم عنوانك، وهم يريدونك أن تشهد أن الدنيا كانت مظلمة وأنك غير متأكد إن كانا هما الجانيين أم لا فيقوم محاميهما بإخراجهما بعد ذلك كالشعرة من العجين. رد "سامح": ولكنهم قتلوا الرجل، رد جمال بلا مبالاة: وكم من الناس يُقتلون في العالم كل يوم. لن يضير أحدًا أن يزدادوا

واحدًا، سأله نعيم: وما ترى أنت في هذا الأمر؟ أجابه جمال: أن ينفذ ما طلبوه منه حتى لا يقوموا بقتله، هنا نظر "سامح" إلى نعيم نظرة إحباط شديدة فقال نعيم لخاله جمال ألن تكف عن أن تخيب أملي فيك. ألن تعمل عملاً أرى فيه رجولة أهل لبنان الحقة فأستطيع بعدها أن أناديك بخالي ... نظر جمال إليه مبتسمًا وقال:

اعلم أنه لا يوجد في العالم كله من يستطيع مخاطبتي بهذه اللهجة وهذه الطريقة سواك. ولكن ماذا أفعل معك فأنت ابن أختي. سأريك ما يستطيع خالك فعله بشرط واحد. سأله نعيم: ما هو؟ أجابه: ألا تناديني إلا بخالي.

الشقة

طرق الباب كثيرًا فلم يجب أحد فأخرج المفتاح من جيبه فلم يفتح، حينها أتى رجل من الداخل يقول بصوت مذعور: من يفتح الباب من يحاول اقتحام شقتي؟ قال الضابط: الشرطة، فأجابه الرجل ومتى كانت الشرطة تقتحم على الناس بيوتهم؟! اعتذر له الضابط كثيرًا وسأله عن الأتراك الذين يسكنون هنا؟ أخبرهم أنه يسكن بهذه الشقة من عشر سنوات ولم يسكنها غيره. سأل الضابط عن مسئول المبنى،

وحينما قابله سأله من الذين كانوا يسكنون الشقة رقم 107؟ فأجابه أن الرجل الذي يسكن بها الآن فيها منذ سنين طويلة. تعجب مصطفى، نظر له الضابط قال مصطفى: أقسم لك أني كنت أسكن في هذه الشقة. بعدها توجهوا إلى محل توماس فوجدوه سوبر ماركت. وحينما سألوا من يقف فيه أجابهم -كسابقه- أن هذا المحل مفتوح من سنة ولم يغير نشاطه. بدا على وجه الضابط الشك في سلامة عقل مصطفى. قال مصطفى: نذهب للفندق لنتأكد من النادل أن هناك ضابطًا بالشرطة كان يجلس معي في الكافيتيريا. ذهبوا ولم يجدوا النادل الذي أعطاه الورقة، ولم يستطع أحد تأكيد روايته. قال مصطفى: إذا فلنذهب إلى البنك للتأكد من تحويل 23000 يورو إلى مصر، فذهبوا إلى البنك ووجدوا أن مصطفى قد قام بتحويل المبلغ فعلاً ولكن الضابط قال: هذا لا يعني شيئا، أخرج مصطفى نقودًا من جيبه قائلاً للضابط: أخشى أن يكونوا قد أعطوني نقودًا مزورة. فحصها الضابط فوجدها سليمة وقال: ما كان البنك ليتسلمها منك إن كانت مزورة ولكنّي أظن أن هذه ليست سليمة، كان الضابط يشير إلى جيب مصطفى الآخر وقد ظهرت منه نقود لم يكن مصطفى يعلم عنها شيئًا. وحين أخرجها الضابط من

جيبه قال: نعم هذه هي المزورة. يبدو أنك كنت تريد اللعب بنا والآن هيا بنا إلى القسم. لم ينطق مصطفى بكلمة وظل هكذا إلى أن وصل القسم وحينما دخل على رئيس الشرطة أخذ يسأله مرارًا وتكرارًا عن مصدر هذه الأموال وماذا كان سيصنع بها؟ وعما كان ينويه من سرد هذه القصة. كل هذا ومصطفي لا يجيب. كان مذهولاً مما حدث، كان يريد اتهامهم فأصبح هو الآن متهمًا.

قال العميد: سأقوم بسجنك وتقديمك للمحاكمة بتهمتين، الأولى: بلاغ كاذب، والثانية: تزوير أوراق مالية. ولا تحسب أن صمتك هذا سيفيدك. كل هذا ومصطفى لا ينطق، فأشار العميد إلى أحد رجاله باصطحاب مصطفى إلى إحدى الزنازين الموجودة بالقسم.

الزائر الجديد

كان يغط في نوم عميق وحينما تقلب في الفراش شعر بتيار بارد في الغرفة يدخل إليه من الشرفة. نظر حوله فرأى بجواره حقيبةً على الفراش، علم أنه الوافد الجديد الذي حدَّثه عنه موظف الاستقبال فقام من فراشه واتجه إلى الشرفة وقال باللغة العربية: أسبوع تقريبًا، لن يزيد عن أسبوع. تلفت الشاب إليه

متعجبًا: كيف علمت أنني كنت أسأل نفسي هـذا الـسؤال؟ فأجابه لأني منذ أكثر من سنة ونصف كنت أقف هنا وأسـأل نفسي السؤال نفسه. أنا "سامح" المنسي من مصر أو فورجيف فورجيتن كما كان يناديني بها فيرناندو، شـريكي الـسابق في الغرفة ... وأنا قاسم عبد الله من العراق، رحب به "سـامح" كثيرًا مبينا له أن الساعة البيولوجية لديه سوف تتأقلم سـريعًا بإذن الله. جلس معه وحدثه عن كل شيء في أستراليا، المطاعم والأسعار وأرخص وسيلة للاتصال بأهله. وكذلك حدثه عـن بحثه وعن أنسب طريقة للبحث والدراسة وعن كيفية التعامـل مع زملائه وأعلمه بأنه سيعرفه بالدكتورة ماري والدكتور ساو وختم حديثه قائلاً: حينما تصحو من نومك غدًا متأخرًا عـن موعد البروفسيور فلا تقلق فقد اعتاد على ذلك من كل وافـد جديد.

الزنزانة

جلس مصطفى صامتًا في الزنزانة يحدث نفسه... ربحـت منهم 25000 يورو ولكني أصبحت مـسجونًا في أحـد السجون الألمانية. كنت أحاول أن أجعل أهلـي في مـصر يفخرون بي إلا أنني مرة أخرى أخذلهم. وهذه المرة ليست في مصر. لم يشعر مصطفى بهذا الإحباط الشديد من قبل. نعـم

كان يصيبه الإحباط ولكن ليس بهذه الدرجة قال: ومن أين جاءت النقود المزورة؟ أكيد منهم ولكن كيف وضعوها لي؟ ضحك ساخرًا وقال: من يُزوِّر شـقة ومحـلاً وضـابطًا ألا يستطيع أن يضع نقودًا مزوره في ملابسي.

قام وتوضأ من صنبور للمياه في الزنزانة ثم اتجـه اتجـاه القبلة وصلى ودعا الله كثيرًا في سجوده (يا مـن أخرجـت يوسف من السجن ويونس من بطن الحوت وإبـراهيم مـن النار أخرجني مما أنا فيه) وبعد فترة فتح باب زنزانته وأخبره الشرطي أن رئيس القسم يريده.

حمايـة مضاعفـة

أينما كان يسير كانت تتبعه سيارة شرطة ورجلان يسيران خلفه من بعيد ويتبعانه كظله حتى إنه لاحظ أنها تتناوب عليه كورديات الشرطة تمامًا. كان ينظر من النافذة فيجد سيارة الشرطة واثنين يلازمان المكان. وحين أوقفت الشرطة الرجلين اللذين يتبعانه أسرع نعيم وأفهم الشرطة أنهما حارسان استأجرهما لحماية "سامح"، وكان الرجلان من قِبل خاله جمال.

أرسل جمال في طلب "سامح" ونعيم فذهبا إليه في منزلـه فاستأذن منهم لخمس دقائق. كان هناك عود معلق على الحائط فأخذه نعيم وأخذ بالعزف عليه والغناء:

لبنـــان مـــا أحـــلاك	جل الـــذي ســـواك
ريحانــــــه غنـــــــاء	يسبي النفـــوس شـــذاك
مـــن كـــل مـــا نهـــوى	رب العبـــــاد حبـــاك
حفـــظ الإلـــه لنـــا	العـــز تحـــت سمـــاك

قال جمال: لم أعلم أنك عازف ومغنٍ؟ وأكمل "ســامح": بل هو ماهر جدًا في العزف، قال نعيم هذه قصة طويلة سوف أقصها عليكم في وقت آخر والآن لماذا أرسلت لنا؟ هل مـــن جديد في أمر "سامح"؟ قال جمال إن المشكلة قد تم حلها ولن يستطيع أحد أن يقترب من "سامح"، فسأله "سامح": ومـــاذا أقول حين أطلب للشهادة في المحكمة؟ أخبره جمال أن يقول ما يريد فله مطلق الحرية في ذلك ولن يمسه أحد بأذى.

ولكن يا ترى ماذا فعل جمال الشهير بالرجل الأيرلنـــدي حتى يصل لهذه النتيجة؟

لم يفعل جمال سوى أنه أرسل في طلب زعيم العصابة الـــتي تهدد "سامح" ولما كانت عصابة محلية بخلاف منظمة الرجـــل الأيرلندي الدولية ذائعة الصيت فقد ذهب زعيمها لمقابلة جمال والذي بدوره أفهمه أن "سامح" أحد رجاله ومن يمسه فقـــد مس الرجل الأيرلندي. و لم ينس جمال إرسال نقود ليعطوهـــا لأهل الرجلين المدانين بارتكاب الجريمة.

ظهر الحق

دخل على رئيس القسم فوجد مفاجأة لم يكن يتخيلـــها، وجد بيتر فلاميني. نظر إليه مصطفى كثيرًا وظل واقفًـــا في مكانه.

قال له رئيس القسم: أليس هذا بيتر فلاميني؟ هز مصطفى رأسه بالإيجاب فقال: لقد أتى يسأل عنك. قال مـــصطفى: ولكنك قلت لي إنه لا يوجد أحد بهذا الاسم، قال بيتر: نعم لا يوجد فأنا أستعير اسم بيتر في المهمات الخاصة وأنا هنـــا لأخرجك من السجن فأنا أعلم أنك برئ. نظر مصطفى إلى رئيس القسم الذي قال: نعم ولكن بيتر يريد الحديث معك أولاً. ثم تركهم وانصرف. قال له بيتر: أريـــدك أن تكمـــل العملية معهم حتى آخرها.

قال مصطفى: ولكنك قلت أنك تعلم أنني بريء. قـــال: أنا أعلم ولكن لابد أن تعمل معي وإلا فلن أستطيع حمايتـــك من قضية التزوير.

الفندق

جلس في غرفته بالفندق حيران لا يدري ماذا يفعل، هل يقبل عرض بيتر ويتعاون معه ويعرض حياته للخطر في مقابل أن يحصل على براءته. أم يرفض ويسجن في قضية تزوير. أم

لعل هناك طريقًا آخر. إنه كمال، اتصل بكمال وحينما سمع كمال صوته كان متلهفًا وهو يقول له: مصطفى بحثت عنك في كل مكان أين أنت؟ قال مصطفى: أريد أن أقابلك الآن، قال كمال: أين؟ قال: في الكافيتريا بعد نصف ساعة، قال كمال: لا بل اجعلها ساعة.. قال مصطفى: اتفقنا.

أخذ مصطفى يفكر ماذا يفعل، إن الفرق بين العقل والجنون شعرة. حتى الاتفاق الذي تم بينه وبين بيتر اتفاق يدفع إلى الجنون. كيف له أن يذهب إلى المقر الرسمي لشركة التحنيط المدوّن بالأوراق الحكومية؟ بالطبع سيدله عليه بيتر ثم يدخل إلى الشركة ويقابل رئيسها فيجده توماس فيحاول استفزازه في الحديث وتهديده فيختطفه توماس مرة أخرى ويتبعهم بيتر حتى يعرف مكان المزرعة ثم يقبض عليهم.

إنها خطة غير آمنة على الإطلاق وتعرض حياته للخطر، ويبدو أن بيتر هذا كل ما يهمه القبض على العصابة. تذكر مصطفى شيئًا لم يكن قد خطر بباله من قبل!

نزل إلى الشارع واتصل بتليفون كمال لكي يخبره أنه ولا شك مراقب ولابد أن يغيروا مكان اللقاء فلم يرد.. حينها اتصل بتليفون البيت فردت عليه نتاليا زوجته مخبرة إياه أن كمال خرج منذ قليل وحينما سألته عن أخبار عمله بالمحل، تعجب مصطفى وقال: ألا تعلمين أن زوج قريبتك قد سافر. قالت بالطبع لا أعلم، فتعجب مصطفى، قالت لأنه ليس لي

أقارب هنا. قال مصطفى ولكن كمال قال لي، ثم سكت قليلاً فقالت نتاليا ماذا قال لك كمال.. قال لها مصطفى.. لا شيء.

البروفيسير يسأل

استدعى البروفيسير "سامح" إلى مكتبه وكان يبدو على وجهه الغضب وقال له: انتظرت طويلاً كي تأتي وتخبرني من أين استنتجت تجربتك، فلم تأت! سكت "سامح" قليلاً، ولم يدر ماذا يقول؟ إن لم يجبه سظن آدمز أنه لا يريد إخباره، وإن تحدث فقد لا يقنعه. قال "سامح": أخشى أن تعاتبني إن أفصحت لك عن مصدري، قال البروفسير: جرب ذلك، قال "سامح": من (القرآن الكريم) كتاب المسلمين المقدس، وهناك سوره تسمى "البقرة" بها آية تتحدث عن الطير وشرح له الآية كما فهمها. سكت في انتظار رد البروفيسير الذي قال: وهل رجال الدين عندكم فسروها كما تقول؟ قال "سامح": لا، علماء التفسير لم يفسروها هكذا وإنما كان هذا فهمي أنا للآية. غدًا بإذن الله سأهديك مصحفاً مترجم المعاني لتقرأ فيه ما تشاء. سأل البروفسير: وهل سأجد تفسير الآية كما قلت؟ قال "سامح": لا ولكنك كعالم طيور تستطيع ملاحظة الكثير.

على حافة الجنون

جلس في أحد الحدائق العامة يفكر. تكاد رأسه تنفجر، لا يدري ماذا يفعل. كل شيء ينهار حوله. أمسك بقلمه وأخذ يكتب:

الأتراك والمحل: اختفوا وأصبحوا وهمًا.

كمال: هو من عرّفه بهم. كان يكذب.

الجثة: لم يقبلوا أن أغلقها قبل أن يضعوا بها شيئًا.

توماس: له شركة بمقر رسمي ولكن المزرعة لا يعلم أحد شيئًا عنها.

الأتراك من العصابة، وكمال من العصابة، والعصابة تهرب شيئًا. رباه ماذا أفعل الآن؟

دراسة الموسيقى

أين تعلمت العزف يا نعيم؟ أرى أنك ستصبح أستاذًا متعدد المواهب ... قال نعيم: لم أكن لأصبح أبدًا أستاذًا بالجامعة، بل موسيقيًا، لولا إرادة الله ... سأله "سامح": هل لي أن أعرف كيف؟

قال: حينما أنهيت دراستي الثانوية أردت أن أدرس الموسيقى إلا أن أبي رفض بشدة وأصر على إدخالي كلية حقيقية، هكذا قال ... فعقدت العزم على دراسة الموسيقى وقـــررت تقـــديم أوراقي في اليوم التالي، وفي الصباح فارق أبي الحياة فجأة!! نعم مات أبي وهو لم يعلم أن ابنه قد قرر دراسة الموسيقى. حزنت كثيرًا وقررت أن أرضي أبي فدخلت كلية العلوم.

خطة مصطفى

قال مصطفى لبيتر: ما أريده هو البراءة من قضية التزوير وإظهار وإعلان دوري في القبض على العـــصابة، فوافـــق. أعلمه مصطفى أن هناك خيطًا في يده وهو كمـــال الـــذي بالتأكيد سيأخذه إلى العصابة، وطلب منه أن يراقبهما إلى أن يصلوا إلى المزرعة، حينها يكون قد نال مبتغاه. وافق بيتـــر على خطة مصطفى فاستأذن منه لمقابلة كمال كي لا يتـــأخر عليه. طمأنه بيتر أنه سيكون خلفه خطوة بخطوة ولن يلاحظه كمال.

الصديق الخائن

لا يدري لماذا شعر بذلك؟ هل ظنه صحيح بأن صـــديقه خائن له ولبلده ومدينته بل وشارعه أيضًا؟!! قـــال كمـــال: تأخرت عليَّ فظننت أن مكروهًا أصابك. حكى له مصطفى

عما حدث معه. سأله كمال: ماذا تريدني أن أفعل لك الآن؟ قال: أن تدبر لي مكانًا آمنًا كي أستطيع الهرب من هنا والعودة لمصر. تعجب كمال مما سمعه وعرض عليه المكوث لديه في شقته إلا أن مصطفى أخبره أن هناك خطرًا على حياته إن فعل ذلك.. كان يتحدث وهو يشرب كوبًا من الشاي فشعر برأسه تثقل. حينها نظر إلى كمال.. وقال: الشاي مرة أخرى.

عاداتنا الجميلة

"أقترح أن نذهب جميعًا إلى ماري لتهنئتها بمولودها الجديد" كان هذا رأي نعيم ووافق عليه قاسم وساو وحينما عرضوا الأمر على "سامح" أخبرهم أنه موافق واقترح أن يدفع كل منهم مبلغًا لشراء هدية لها، ثم عرضوا الأمر على البروفسيور الذي استحسن الفكرة ودفع كل منهم مبلغًا ماليًا متساويًا لشراء الهدية.

كانت ماري مسرورة جدًا واستقبلهم كلارك زوجها استقبالاً حسنًا وشرح لهما البروفسير أن زملاءهم أرادوا أن نعرف عاداهم الجميلة. وحينما فتحت ماري الهدية وجدتها سلسلة ذهبية عليها شعار الكيوي ومكتوب تحتها "مولود سعيد".

المزرعة للمرة الثانية

نظر حوله وأخذ يتفقد الوجوه. توماس وميـنـــا، وبعـــض الرجال وكمال الذي أفاقه برفق. نظر مصطفى إلى كمـــال قائلاً: كنت أعلم أنك أحدهم.. لكني علمت متأخرًا جـــدًا، قبل أن أقابلك المرة الأخيرة. قال مينا: أهلا بك معنا مـــرة أخرى يا مصطفى، لقد افتقدناك مدة طويلة.

قال مصطفى: هل ستقتلونني هذه المرة يـــا تومـــاس؟ رد كمال: لا بالطبع فنحن اتفقنا معهم على التحنيط فقط مقابل مبلغ من المال وأنا أخذت عليهم العهد ألا يمسوك بأذى.

قال مصطفى: وبكم بعتني يا كمال؟ قال توماس: تقـــصـد بكم باعوك؟ حينها همس أحدهم في أذن توماس.. فقال دعه يدخل.. تطلع مصطفي في لهفة لمن سيدخل من الباب،

كان "علي" صاحب البازار بخان الخليلي. قال مصطفى: ما هذا.. أحبابي كلهم هنا؟.. يا لحظي السعيد. كل أتباعك خانوك يا ريتشارد قلب الأسد.. أخشى أن يكون أبي وأمي متورطين أيضًا في هذا الأمر!!

قال توماس لـــ"عليّ": اشرح لصديقك سبب ما هو فيه، سكت "علي" قليلاً حرجا من مصطفى فصرخ فيه تومـــاس:

حينما أقول اشرح لصديقك، تشرح له. قال "علي": هل تذكر يوم أن عرضت عليك فكرة التحنيط في مصر واستهزأت بي؟ كنت قبلها قد تعرفت بتوماس ومينا من عدة زيارات لهم إلى خان الخليلي. وحينما أخبرتهم عنك زادت زياراتهم لي وإلحاحهم عليَّ بأن تعمل معهم في شركة لتحنيط الموتى. إلا أنك رفضت الأمر. فكانت الخطة أن تسافر إلى ألمانيا ويتصل بك كمال مستفسرًا عن أحوالك فتطلب منه السفر إلى ألمانيا، أكمل توماس كلام "علي": ووضعنا في طريقك محل توت عنخ آمون وكتبنا المعلومات الخاطئة. أما الأتراك والمحل وحتى الزبائن الذين كانوا يشترون منك بالمحل فقد كانوا كلهم ممثلين يؤدون أدوارهم. قال كمال: صدقني يا مصطفى لم نر في الأمر سوى أنك غير مقتنع فرأينا أنك إذا عملت معهم فسيعم الخير عليك وعلينا، قال توماس: نحن نعرف أنك ذهبت للشرطة ولم يجدوا أي شيء مما قلت.. قال مصطفى: نعم لقد قمتم برسم الخطة جيدًا، وأنا من سذاجتي أعطيت أوراق الشركة لكمال كي يتأكد من صحتها.

قال توماس: لا، أوراقنا فعلاً سليمة، ولكن حينما استعلمت عنّا الشرطة لم تجد أي شركة تحنيط ألمانية وذلك لأننا شركة أمريكية تنفذ عملاً لها بألمانيا.

أول عطلة

أيقظ "سامح" قاسم قائلاً: اليوم عطلة هيا لأريك جمال أستراليا ... كان نعيم ينتظر بالأسفل، وحينما سأل قاسم إلى أين سنذهب؟ أجابه "سامح": سنذهب بعيدًا للبحث عن الذهب. ساروا بالسيارة مدة طويلة إلى أن وصلوا "سوفرين هيل" ... دخلوا المناجم وركبوا العربة التي يجرها الحصان للبحث عن الذهب تمامًا كما كان يفعل السكان قديمًا ... سأل قاسم: منذ متى؟

أجابه نعيم: منذ عام **1850**م. أنهوا البحث عن الذهب، واستبد بهم الجوع والعطش وأنهكهم الصيام وحينما اقترب موعد الإفطار قال نعيم: هيا إلى الخطوة الثانية، مطعم "كولينال ترام كار"، سندفع الكثير ونظل جائعين باقي الشهر ولكنه يستحق ذلك. كان مطعمًا متحركًا يمر بوسط مدينة "ملبورن" وكان الطعام رائعًا والمكان أكثر روعة. واتفقوا على الذهاب في الأسبوع القادم إلى حديقة "بالارت" حيثُ الحياة البرية.

نعيم يتألق

جاءته رسالة من فيرناندو بقرب تعيينه بالجامعة في بلده، وكان ذلك يوم مناقشة رسالة نعيم. كان آدمز معجبًا بطريقة عرض نعيم لرسالته وتأنيه في الإجابة عن أسئلة المناقشين، وبعد

قرابة الساعتين حصل نعيم على الشهادة وصفق له الجميع. أما خاله جمال فصعد إليه واحتضنه بشدة وهنأه. شعر "سامح" في هذا الوقت بالقلق والحزن معًا ... القلــق لاقتــراب دوره في المناقشة، والحزن لفراق نعيم.

عيـد الفطر

صلوا العيد في المركز الإسلامي ... كان العيد هناك مختلفًا حيثُ كان المسلمون يأتون بأسرهم إلى المركز من كل مكان. أعد القائمون على المركز دورات للألعاب المختلفة ... كــرة قدم... كرة سلة ... تنس طاولة ... شطرنج ... وأجهــزة أتاري وملاهٍ للأطفال ... شاشات عرض كبيرة تعرض عليها أشياء مختلفة ترضي جميع الأذواق، وكذلك مطعم مفتوح طوال اليوم.

كانت الأسر تستمتع بالعيد ولا يقطع هذا البرنامج ســوى الصلوات المفروضة. كانت بحق أيامًا رائعة. كان عيدًا مختلفــا لسامح وقاسم لأنهما لم يقضيا عيدًا بهذه الكيفية في بلدهم من قبل. كان العيد الأخير بالنسبة لنعيم في أستراليا، وقد طلب منه "سامح" أن يظل ليومين آخرين إلا أنه كان قد حجز تــذاكر سفره، وقال لسامح: الآن أستطيع الرجوع إلى لبنان وروح أبي راضية عني فأنا لم أدخل الكلية التي كان يريــدني أن أدخلــها وحسب بل وأصبحت أستاذًا بها.

التهريب

قال مصطفى: ما الشيء الذي تهرّبونــه في الجثــث يـــا توماس؟ قال كمال: لا شيء، إنه تحنيط فقط.. قال مصطفى: أنا لم أسألك. قال توماس: هو لا يعرف، ويظـــن أن الأمـــر كذلك. لكن قل لي ماذا نهرِّب في رأيك.. ماسًا.. مخدرات.. مواد نووية؟

قال مصطفى: لا، فهذا سيتم اكتشافه بالمطـــار ولكـــني أظنكم تهربون أشياءً أخرى وجودها منطقي مـــع الأجـــساد المحنطة. قال مينا: ماذا تقصد؟ رد مصطفى: أقـــصد أنكـــم تهربون أعضاءً بشرية. صفّق له مينـــا كـــثيرًا، وقـــال لـــه: أحسنت، ألم أقل لك أنك شديد الذكاء، لكنك لم تـــستغل هذا الذكاء جيدًا. قال مصطفى: وما أدراك أنني لم اســـتغل هذا الذكاء في شيء؟ ضحك مينا قائلا: تقصد هذا؟... نظر مصطفى فوجد شخصًا فاقد الوعي وموثقا بالحبـــال، كـــان الضابط بيتر فلاميني. فقال: انقطع آخر خيط لي ولم يبق إلا سبيل واحد، سأله مينا: وما هو؟ أجابـــه مـــصطفى: هـــذا السبيل، وأشار إلى السماء، فرد عليه مينـــا: متـــدينٌ حـــتى النهاية. نظر كمال إلى "علي" طويلاً ثم قال لمصطفى: أقـــسم لك بالله أني لم أكن أعلم بأمر التهريب هذا.. سأل مصطفى توماس: لكن لماذا أنا؟ إن التحنيط علم موجـــود بالكتـــب

وهناك الكثير ممن يجيدونه ويمارسونه أيضًا. كنت تستطيع أن تأتي بعالم أو خبير في هذا المجال وسيقوم بالتنفيذ أفضل مـــني. أجابه مينا: أنت ذكي ولابد أن تـــستنتج بنفـــسك، قـــال مصطفى: تريدون شخصًا تتوافر فيه ميزتان، الأولى أنه يفهم عملية التحنيط، قال مينا: نعم، والثانية ليس لـــه شـــأن في المجتمع. فشخص مثلي من سيسأل عنه، وحتى بعدما يُـــسأل عنه، فلن يحدث شيء، خلافا لما كان سيحدث إن اســـتعنتم بعالم أو خبير كبير، فستكون مشكلة كبيرة إن اختفى.. قال له توماس: نعم شخص وضيع ليست له قيمة، لا في بلده ولا في غيرها.سكت مصطفى قليلاً ثم قال: هل لي أن أسأل ماذا ستفعلون بي؟ أجابه مينا: اختر أنت، نقتلـــك أم نحنطـــك؟ انتفض "كمال" و"علي" مذعورين قائلين: لا، ليس هذا مـــا اتفقنا عليه، إنه صديقنا ولن نسمح لكم بأن تؤذه، عنـــدها أحاط بهما مجموعة من الرجال وأوسعوهما ضربًا وقيـــدوهما. قال مينا: حسنا الآن لدينا ثلاث جثث للتحنيط. وقد علمتنا التحنيط يا مصطفى ولا أظننا في حاجة لك بعد الآن. قـــال مصطفى: هناك سؤال أخير قبل أن تقتلـــوني أو تحنطـــوني، أعرف أن الأعضاء البشرية لابد أن تكون طازجة حتى تباع أما هذا الجسد فقد مكث فترة طويلة.. رد توماس: نعم لقد أدخلنا تعديلاً بسيطًا، فالأعضاء التي ستسافر مـــع الجـــسد ليست أعضاءه بل أعضاء طازجة كما قلت، وخير لـــك ألا تعرف من أين أتينا بها. أما الأوعية الكانوبية فهي ثلاجـــات

صغيرة بها سوائل خاصّة لحفظ الأعضاء إلى أن تصل إلى أصحابها. الآن سنترككم أنتم الثلاثة تسترجعون ذكرياتكم، فلعلها تكون آخر ذكريات، تصبحون على سرر التحنيط. وبعد قليل بدأ الضابط بيتر يفيق. شرح له مصطفى كل ما حدث. حاول بيتر التخلص من وثاقه فلم يفلح. ولم يجد أي مخرج في الغرفة، عندها استسلموا وجلسوا يتلاومون، وبيتر لا يفهم كلمة مما يقولون.

تساؤلات آدمز

كان آدمز يقرأ في المصحف مترجم المعاني ويسأل "سامح" الذي كان كثيرًا ما لا يتمكن من الرد عليه، فقال له: لم لا أعرفك بمن يستطيع الإجابة عن جميع تساؤلاتك؟

في المركز الإسلامي جلس الشيخ عبد البديع والبروفيسير و"سامح" وقام "سامح" بتعريف كل منهما للآخر. كان كل منهما يمتاز بميزتين، الأولى أن كليهما عالم في مجاله، والثانية أنهما شخصيات اجتماعية ودود، لذا فقد أخذا في التحدث كأنهما يعرفان بعضهما البعض من مده طويلة.

سأل البروفسير الشيخ: لقد قال إبراهام: { ... **أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ...** (٢٦٠) } البقرة.

كيف لنبي أن يشك في الله؟ قال الشيخ: أترى ذلك المبنى الكبير هناك؟ قال آدمز: نعم، قال الشيخ: حينما يسأل إنسان

من المهندس الذي بناه وكله طموح لمعرفة الكيفية، هل يكــون مشككًا في قدرة المهندس على بنائه؟ ولله المثل الأعلى، وكذلك فعل نبي الله إبراهيم (عليه السلام) الذي سأل عن الكيفية مــع إيمانه الجازم بالقدرة الربّانية.

آدمز: إن التجربة أثبتت صحة نظرية "سامح"، لكــنني لم أستطع فهم الآية كما فهمها.

هنا أوضح له الشيخ أن تفسير "سامح" للآية اعتمد علــى البحث في معاني الألفاظ ودلالاتها، مع طرحه للسؤال المشهور في عملية التدبر: (لماذا؟)، مثل: لماذا ذكرت الجبال؟ لماذا سعيًا؟ وهكذا...

قال آدمز: هل لك أن تشرح لي من أيــن أتــى بمــسألة الاختناق؟

الشيخ: لقد أشار القران لمسألة التصعّد في السماء وأن هذا يؤدي إلى ضيق الصدر وصعوبة التنفس، قال تعالى:

﴿ ...... يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ...... ﴿١٢٥﴾ ﴾ الأنعام.

وهذا الأمر استنبطه "سامح" من ذكر الجبال في الآية.

جلس الاثنان يتسامران وأخــذهما الحــديث إلى الطعــام وأحدث وسائل النظام الغذائي فقال الشيخ: هل تعلم أيضًا أن القرآن قد أشار لذلك؟

{ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ } الواقعة.

الفاكهة أولا كي يشبع الجسم حاجته من السكريات فيستطيع التحكم بعدها في كمية الطعام التي سوف يتناولها. أما إذا تم تناولها بعد الأكل فستحدث لها عملية تخمر في المعدة ويصاب الإنسان بعسر الهضم.

فرج قريب

فُتح الباب ثم دخل وأغلقه خلفه دون أن يحدث صوتًا. كان هذا مينا الذي دخل إليهم متسللاً وأشار إليهم بعدم إحداث أي صوت. قام بفك وثاق بيتر وطلب منه عدم استدعاء الشرطة. كل الرجال مشغولون الآن مع توماس، هكذا أخبرهم وأمرهم بالهروب بسرعة. تسلل مينا بخفة ولم يرد عليهم حينما نادوه وترك الباب مفتوحًا فقام بيتر بفك وثاق الثلاثة وهم مندهشون تمامًا. لماذا فعل مينا ذلك؟ لم يكن باقيًا من رجال توماس لحراسة المكان سوى اثنين، انقض عليهما بيتر واحدًا تلو الآخر، فصرعهما ثم أخذوا سيارة وانطلقوا بها مسرعين. وحينما أراد بيتر الاتصال بالشرطة

قال له مصطفى: لا تنس كلام مينا، دعنا نؤجل ذلك قليلاً.
سألوا بيتر عن وجهتهم فقال: بالطبع إلى مكان واحد.

اختـراق الاتصـال

تحدث "سامح" مع نعيم على الإنترنت بعد أن رجع إلى لبنان وقص عليه نعيم كل شيء من ركوبه الطائرة حتى وصوله، وتبادلا معًا أخبار فيرناندو الذي كان يتحدث معهما كثيرًا. أخبر نعيم "سامح" أن خاله جمال سوف يصل إلى لبنان قريبًا في زيارة خاطفة، وحينما سأله "سامح" عن موعد الزيارة، قطعت حديثهم رسالة تحذير (قد ينقطع الاتصال إذا تكرر الخطأ مرة أخرى).

فهما الرسالة جيدًا، وعلموا أن رجال جمال يراقبون حواراتهم خشية أن يتحدثا بشيء يضرّه خاصة أنه سيخرج من مكان سطوته ونفوذه في أستراليا إلى لبنان ... فأخذا يتحدثان في مواضيع أخرى كرسالة "سامح" ومتى تم تحديدها وتوصيته كي يجتازها بنجاح.

المطـار

أحاطت الشرطة بالسيارة من كل جهة. نزل توماس منها وأعطى لهم أوراق الشركة والإذن بخروج الجسد المحنّط حينها أخبر بيتر الشرطة بما فعلوه به هو والثلاثة المصريون

الذين معه، وأخبرهم أن الجثة بها أعضاء بشرية، فرد توماس: طبيعي أن كل جثة محنطة يكون معها أعضاؤها أما أنت ورفاقك فأنا لم أركم من قبل. قال مصطفى: ولكن هذه الأعضاء ليست لهذه الجثة فرد توماس لابد أنك تشاهد أفلامًا بوليسية كثيرة.

رد كمال: نستطيع عمل تحليل الحمض النووي -الدي إن إيه- لنفي ما تدَّعي، رد توماس: إن ذلك سيأخذ وقتًا وأنا أحمل الشرطة المسئولية في حال فساد الجثة المحنطة.. قال مصطفى: كيف تفسد وهي محنّطة؟ أجاب الضابط: لا بالطبع لن نتحمل هذه المسئولية هيا تحرك. نظر توماس نظرة المنتصر إلى بيتر ورفاقه.. وشكر الشرطة.

هنا ظهر مينا وقال: لا بل انتظر ولا تتحرك، هذه هي التحاليل التي تثبت أن الأعضاء البشرية الموجودة مع هذا الجسد لا تمت إليه بصلة، ثم إنه ليس هناك جثة لها كبدان وأربع كليات. إن هذه العصابة قامت بأشياء كثيرة منها خطف هؤلاء الأفراد. كان توماس ينظر إلى مينا متظاهرًا بالثبات وإن كان يتمنى افتراسه بأسنانه.. توجَّه الضابط بسؤال مينا عن هويته، فقال له: أنا بهير خان من شرطة مكافحة التهريب بالهند وأنا معهم منذ عام وكنت أرغب في الوصول إلى الرأس الكبيرة، فتوماس ما هو إلا ذراع فقط إلا

أن مصطفى أفسد العملية. ثم توجه إلى توماس قـائلاً: والآن توماس هل ستدلني على الرأس الكبيرة. نظر إليـه تومـاس نظرة الواثق من نفسه قائلاً: لقد قضيت بيننا وقتًا طويلاً أيها الشرطي وتعلم أنني في جميع الأحوال لن أخبرك بشيء كمـا تعلم أيضًا أن لنا أيد طويلة في العلم كله، وليـست الهنـد ببعيدة. كان رجال الشرطة يفتشون أفراد العصابة ويقومـون بإخراج ما في جيوبهم، فوجد مصطفى هاتفه المحمول ضـمن الأشياء التي تم تحريزها من قبل الشرطة، هنـا أسـرع إلى الضابط المسئول يستأذنه في استلام هاتفه فرفض، فاسـتأذنه في الاتصال بالبيت ليطمئن عليهم. كان مصطفى قد صـور نفسه صورة حديثة بألمانيا بجوار إحـدى الحـدائق وأراد أن يرسلها لهم على هاتف أخيه، وحينما بدأ البحث عن الصور إذا به يجد فيديو توماس مع المرأة السمراء النحيفة، حينـها نادى على مينا أو بهيرخان قائلاً له: هل صورة المرأة هذه مع توماس تعني لك شيئًا، نظر إليها بهير: بالطبع تعني الكـثير. أسرع إلى توماس قبل أن تذهب به سيارات الشرطة وقـال له: إذا هي الدكتورة جين. صدقني يا توماس سأحرص على أن تنال الإعدام أنت وجين هذه.

قال له توماس: إعدام... لن تـستطيع أن تعـدمني أي محكمة. سيدافع عني أكبر المحامين. فرد عليه: إذًا ستقـضي بقية عمرك في السجن بينما تنعم هي بحريتها.

المناقشة

جاء اليوم الموعود، يوم مناقشة الرسالة. جلس "سامح" على مكتب صغير مرتفع وأمامه أربعة من الأساتذة منهم البروفسير آدمز وثلاثة آخرون ليسوا من الجامعة. حضر المناقشة جمعٌ كبير، منهم الشيخ عبد البديع وبعض أصدقائه من المركز الإسلامي والعديد من زملائه داخل الجامعة. بدأت المناقشة وانهالت عليه الأسئلة. كان البروفسير آدمز يعينه في بعض النقاط شارحًا ومفصلاً وكان "سامح" يبلي بلاءً حسنًا ... إلى أن سأله أحدهم: هلا أخبرتنا عن تجربة الكيوي والجبل... شرح لهم "سامح" نظريته فيها بالتفصيل فسأله أحدهم: كيف وصل إلى هذا الاكتشاف؟ أجابه "سامح": بدأ الأمر بقراءة وتأمل كتابي المقدس (القرآن العظيم) فلفتت نظري آية تتحدث عن الطيور، فتوجهت إلى أحد المختصّين الذي أرشدني إلى قوانين الاستنباط وقواعد التدبر التي يختص بها (القرآن الحكيم)، ونصحني بأن أقوم بتجربة الفهم الذي توصلت إليه إن كان ذلك في استطاعتي، فتوجهت لأستاذي البروفيسير آدمز وعرضت عليه الأمر وقمنا بالتجربة التي قرأتم عنها. هنا بدأ الأستاذ يرد عليه بأسلوب ساخر: يبدو أنك كنت تريد دكتوراه في اللاهوت وليس الطيور، ما دخل كتابكم السماوي بالعلم؟ بل ماذا تعلمون أنتم كعرب عن العلم؟ لقد بدأنا نحن العلم والبحث بينما أنتم تركبون الجمال وكل ما نسمعه منكم

حين نكتشف شيئًا قولكم هو عندنا في القرآن، نحـــن نـــصنع سفن الفضاء ونصعد إلى القمر ويظل العلماء لسنين يدرســـون ويبحثون ليكتشفوا أن القمر قد شُق في يوم من الأيام فتقولـــوا نحن لدنيا هذا في كتابنا ... همّ الشيخ عبد البديع بالرد علـــى هذا الرجل ولكنه رأى أن هذا قد يضر بسامح فلـــم يفعـــل. سكت "سامح" قليلاً وقال في نفسه: {قل لن يصيبنا إلا مـــا كتب الله لنا} فأشار له البروفسير آدمز بأن يرد، فوجّه حديثه للأستاذ المتحامل قائلاً: يبدو يا أستاذي الفاضل أنك نسيت أن العرب قديمًا حينما أهدوكم أول ساعة رمال ظن علمـــاؤكم وقتها أن بها جنًا، ويبدو أنك نسيت أن من كان منكم يريـــد العلم كان يتوجه إلى بغداد أو إلى دمشق ووقتها كان كُتّابكم يعاتبون شباب تلك الأيام على أنهم تركـــوا لغتـــهم الأصـــلية وتحدثوا اللغة العربية، أما نحن فالعيب فينـــا لأننـــا لم نبـــادر بالاكتشافات والاختراعات قبل أن نسوق الأدلـــة. فحينمـــا اكتشفتم انشقاق القمر كان القرآن قد ذكرها صـــريحة منـــذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة وارجع إن شئت إلى أي مصحف مترجم المعاني ستجد سورة تسمى ســـورة القمـــر. أســـتاذي الفاضل: سواء أكنتَ مقتنعًا أو غير مقتنع فذلك لن يزيد الأمر شيئًا أو ينقصه. ساد الوجوم الجميع... لم ينطق أحد بكلمـــة سوى البروفسير آدمز الذي نظر إلى "سامح" معجبًا بثقته بنفسه واعتزازه بكتابه المقدس إلى هذا الحد، وقال مخاطبًا زملاءه: لو نظرنا إلى ما قاله الباحث "سامح" من وجهة نظر علمية فسوف

نجد أن التجربة العملية أثبتت صدق ما توصل إليه واستنتجه وبالتالي لا يعنينا من أين جاء هذا الفهم قدر ما يعنينا صحته من عدمها. تحدث أستاذ آخر قائلاً: يا بني لا تظن أننا هاجمكم كعرب أو هاجم أي كتاب سماوي ولكن البروفسير ديفيد قد تعجب كثيرًا حينما سمع مصدر المعلومة. انتهت المناقشة وبدأت الاستراحة ... خرج الأساتذة من القاعة، واقترب الشيخ عبد البديع وساو وماري وقاسم من "سامح"، وقالت ماري: لا تخش شيئًا لا يستطيع أن يقيمك أحد إلا من خلال تجربتك وبحثك ... بعد قليل خرج الأساتذة من الغرفة، كان "سامح" ينظر في وجوههم واحدًا واحدًا يريد معرفة النتيجة إلى أن نظر في وجه البروفسيور فهدأت نفسه قليلاً. قررت اللجنة منح الطالب "سامح" قطب المنسي درجة الدكتوراه بتقدير جيد جدًا مع التنويه أن البحث العلمي لا يعترف إلا بنتاج التجارب وبما يخرج من المختبرات فقط.

قفز ساو في الهواء فرحًا واحتضن "سامح" وكذا فعل الشيخ عبد البديع وهنأته ماري، وقام قاسم بتوزيع الحلوى على الحاضرين. سلم "سامح" على أفراد اللجنة واحدًا واحدًا وشكرهم ثم خرج واتصل ببيته وأخبر أمه التي ظلت تدعو له، وكذا فعل مع شاكر ونعيم وفيرناندو.

التكريم

تحدثت وسائل الإعلام عن سقوط إحدى الشبكات الكبرى لتجارة الأعضاء البشرية، كما تحدثوا أيضا عن التكريم الذي أقامته المقاطعة لمصطفى، لدوره الكبير في القبض على العصابة مع صورة كبيرة له وهو يتسلم جائزة 10000 يورو من المحافظ.

أصبح مع مصطفى مبلغ لا بأس به، حوالي 33000 يورو أي أكثر من ربع مليون جنيه مصري، وهي كفيلة بإقامة مشروع شركة التحنيط، وسيقوم بعمل موقع على الإنترنت، ولعل والده -بعلاقاته- يساعده في إنهاء أوراق هذه الشركة.

لم يكن في ألمانيا من تعرَّف به كي يودعه. فكل من تعرف بهم إما في السجن أو كانوا ممثلين يؤدون أدوارهم، لذا توجه إلى المطار عائدًا إلى مصر دون وداع أحد.

وداعـًا أستراليـا

أكد عليه البروفيسير أن يحدثه عبر الانترنت و لم ينس شكره على معرفة شخص كالشيخ عبد البديع وودعه هـو ومـاري وقاسم وساو.

ذهب وجلس مع الشيخ عبد البديع فترة طويلـة وصـمم الشيخ على الذهاب معه إلى المطار وعانقه بحـرارة وقـال: لا تنسني من خطاباتك، فردَّ عليه "سامح": وأنت لا تنسني مـن صالح دعائك.

في الطائرة تذكر كل ما مر به في أستراليا، أول يـوم مـع فيرناندو، مقابلة البروفسير، غرفة التفكر، نعيم وماري وسـاو، العمل في المطعم، جاك، الشيخ، الأحلام، الكيـوي، الكنغـر، صورته بالجرائد، جمال، المناقشة، دمعت عيناه وتمنى ألا تكـون الزيارة الأخيرة.

وداعًا ألمانيا

حينما توجه إلى المطار ليركب الطائرة كان صديقه "علي" معه أو الذي كان صديقه، وحينما كان بصالة الانتظار وجد من يضع يده على كتفه فاستدار ليجده بهير خان (مينا سابقا) والذي قال له مداعبًا: إن نظرتك لم تكـن صـحيحة فأنـا

شرطي آثار وليس لص آثار كما كنت تظن. قال مصطفى: كنت أتمنى أن أودعك قبل السفر. حيّاه مينا كثيرًا ومـــدح فراسته وشجاعته. هنا سأله مصطفى: ما يحيرني هـــو لمـــاذا وضعتَ لي منوّمًا في الشاي؟ فرد مينا: كي لا تكتشف مـــا يهربونه داخل الجسد فتعرض حياتك والعملية كلها للخطر. وبالطبع لم يعلم توماس شيئًا عن المنوم، كما أن أصـــدقاءك "كمال" و"علي" لم يكونوا يعلمون شيئًا أيضًا، فلا تغـــضب منهم. أخبره مصطفى أنه متفهم للأمر وسلّم عليه. وحينمـــا نظر في يديه وجد سكينًا فرعونيًا فنظر متعجبًا لمينا وهو يغادر فقال له: لا تخش شيئا فهو قانوني، كل شيء بالقانون. أراك في عملية قادمة.

3

العودة إلى مصر

تحدثت الصحف المصرية عن الشاب المصري الذي ساعد في القبض على عصابة عالمية لتهريب الأعضاء البشرية. أفردت الصحافة صفحاتها للتحدث عن مصطفى الذي عمل معهم كخبير تحنيط كما تحدثت الصحف عن تكريم المقاطعة له، وما إن وصل مصطفى بيته حتى كانت هناك مكالمة تليفونية بانتظاره من معدي برنامج "السفراء" الشهير والذين يرغبون في استضافته متحدثًا عن تجربته مع العصابة والتحنيط. كان موعد عرض البرنامج مساءً في وقت الذروة لمشاهدي التليفزيون، ولقد تحيَّر مصطفى ماذا يرتدي، هل بدله كاملة أم ملابس شبابية تناسب سنه وتجعله قريبًا من المشاهدين؟ وفي النهاية قرر أن يرتدى ملابس شبابية. قدَّمه "أكرم فتحي" مقدم البرنامج تقديمًا رائعًا قائلاً: إن برنامجنا يتحدث عن كل نموذج مشرف لبلادنا بالخارج فأصبح بحق يستحق لقب السفير وأخذ يعطى مقدمة بسيطة عن مصطفى.. وبعدها طلب من مصطفى أن يقص على السادة المشاهدين ما حدث معه فقص مصطفى باختصار ما حدث، من أول اتصال كمال به إلى تكريم المقاطعة له، ثم فتح "أكرم فتحي" باب الأسئلة للمشاهدين.سؤال من الشيخ منصور

عوض من علماء الأزهر الشريف.. تفـضل.. فقـال: أولا أحيّك يا أستاذ مصطفى على شجاعتك وموقفك الرائع من هذه العصابة التي تتاجر بلحم الناس. ثانيا أنت تحـدثت في بداية البرنامج عن الآية رقم 92 من سوره يـونس **(فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ)** وقلت إن الآية تتحدث عن التحنيط. أرى أنك حمّلت الآية أكثر من معناها. فببساطة وبدون أي تعقيـد، بدنك: المقصود به درعك، وننجيك: نجعلك على نجـوة مـن الأرض أي ارتفاع منها، وخلاصة القول أن الله عـز وجـل أخرج فرعون بدرعه من الماء وجعله على مكان مرتفع ظـاهر كي يراه الناس ويعتبروا. هكذا قال المفسرون الكبار وعلماؤنا المتخصصون أما أنت فخريج كليه الآثار.. عفوًا.. فليس هـذا تخصصك ولا مجالك لتتحدث فيه، أما التحنيط فلا بأس. قاطعه أكرم فتحي: شكرًا شيخ منصور.. أوضحت وجهه نظرك. هل لك تعليق يا أستاذ مصطفى؟

قال مصطفى: لقد غرق فرعون ليس في هذا شك، قال تعالى:

{ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا } الإسراء 103.

فإذا كان فرعون قد مات، فماذا نجّا الله منه؟ هل روحـه؟ بالطبع لا.. فقد مات غريقًا لكنه سبحانه نجّا جسده وبالأصح بدنه من التلف ليكون عبرة لكل من يأتي خلفه.. أمـا كـوني

لست متخصصًا في التفسير فأنا لم أفسر القرآن وإنما قرأت آية تتحدث عن فرعون موسى الذي هو في الغالب رمسيس الثاني ففهمتها من خلال دراستي وتخصصي وتدبرت الآية كلمة كلمة، وحرفًا حرفًا حتى وصلت لهذا الفهم، والحث على التدبر في القرآن لجميع الناس، فقد قال تعالى: { كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) } ص.

سؤال من الدكتور عبد الخالق مخلوف الأستاذ بكلية الآثار، تفضل...

أستاذ مصطفى أنت تقول إن الآية تتحدث عن التحنيط، فأين باقي الخطوات؟ فهناك التكفين مثلاً.. وغيره. قال مصطفى: إن القرآن يشير إلى الخطوات الأساسية لعملية التحنيط والتي لا تصلح بدونها، أما التكفين ووضعه في تابوت، فذلك لعزله عن أي دابة تأكل جسده، ولقد أشار القرآن لهذا الأمر في سورة سبأ، قال تعالى:

{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} سبأ 14

فدابة الأرض أكلت العصا التي يتكئ عليها سيدنا سليمان عليه السلام وبالطبع لم تأكل جسده الشريف لأنه نبي، فدابة الأرض تأكل الأبدان من الخارج، ودابة البطن تأكل الأبدان من الداخل وهذه الدواب هي التي نسميها الآن البكتريا.

الإعلان عن الشركة

توالت الأسئلة في البرنامج عن التحنيط وكيفيته وجاءته أيضًا استفسارات كثيرة من أناس قاموا بتحنيط حيواناتهم.

كان مصطفى يجيب كإخصائي تحنيط. ويرد على كل سؤال بالتفصيل وكانت المفاجأة أن أعلن في البرنامج عن تأسيس شركة لتحنيط الموتى في مصر وسيكون مقرها خان الخليلي حينها أعلن "أكرم فتحي" أنه يهيب بالسادة المسئولين مساعدته وأن يكفوه تعقيد الروتين وهذه الفكرة الجديدة علينا ستجلب الكثير من السائحين إلى مصر.. حينها اتصل به أحد المسئولين مؤكدًا أنه سوف ييسر له الحصول على التراخيص اللازمة لأن ذلك في صالح مصر وله أن يعتبر ذلك الأمر منتهيًا.. بعدها كانت المفاجأة.. اتصال من فضيلة الدكتور العلامة عبد الحميد المنياوي...

مكالمة الشيخ

رحب به مقدم البرنامج ترحيبًا كبيرًا ورد الدكتور عبد الحميد المنياوي بشكره والثناء على موقف مصطفى في ألمانيا وشجاعته وقال في النهاية أريد أن أسألك سؤالاً: هل التحنيط تكريم أم تنكيل بالإنسان؟ أنت قلت إن الله أخرج بدن فرعون ليكون عبرة لكل ظالم ومتجبر نسي أنه سيقف بين يدي ربه يومًا ما.. وخطوات التحنيط التي شرحتها من فتح للبطن والرأس وما إلى ذلك تمثيل بالجثث قد نهى الله عنه. فتكريم الجسد دفنه في التراب.. ألم يكن الفراعنة يقومون بذلك اتباعًا لمعتقدات فاسدة؟! ثم إن الله حرم على الأرض أكل جسد الشهيد وهذا تكريم لبعض الناس، أما التحنيط فأنا أعلن –من خلال برنامجكم على الهواء مباشرة– أنه حرام شرعًا وغير جائز على الإطلاق... سكوت تام... ثم قال أكرم: ولكن فضيلة الدكتور أليس التحنيط علمًا كباقي العلوم؟ رد الدكتور: كعلم ندرسه نعم لا بأس ولنا أن نطبقه لأغراض تعليمية كتعلم التشريح في كليات الطب مثلاً وهذه ضرورة، أما أن نطبقه على الموتى سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين لأغراض أخرى فلا يجوز... طلب أكرم من مصطفى التعقيب فقال: لا أدرى ماذا أقول، سكت قليلاً ونظر إلى الأرض ثم قال: أتعلم أنني أحلم بهذا الأمر منذ زمن بعيد فهذا الأمر أحبه وأتقنه فهو علم وفن.. حلمي أن يكون

التحنيط مهنتي ثم تأتي الآن لتخبرني بأن أهدم هــذا الحلــم هكذا بكل بساطة.. ثم سكت. قال الدكتور: عفوًا يا أستاذ مصطفى.. أنا أعلم صعوبة ذلك عليك ولكن واجبي توضيح الأمر لك. شكر أكرم الدكتور عبد الحميد وسأل مــصطفى عن رأيه. لم يكن يتوقع هذا أبدًا كان يتوقع روتينًا حكوميًا، هذا أقصى ما تصوره أما أن يكون حرامًا شرعًا فهذا مــا لم يدر في حسبانه، وفي هذه الأثناء كانت الجمالية كلها تتــابع البرنامج، كان أبوه وعمه وعمته يتجمعون حــول التلفــاز يشاهدون مصطفى على الهواء مباشرة في منزل عمه، كمــا أخرج أصحاب البازارات تليفزيون أحــدهم إلى الــشارع وأخذوا يتابعون البرنامج أما باقي الحي فكانوا على المقــاهي التي كانت بدورها تعرض البرنامج والباقي كانوا يشاهدون الحلقة في بيوتهم. وكان لديهم كلهم سؤال واحــد: مــاذا سيقول مصطفى؟ إن أي شخص سينظر إلى سكان الجماليــة في هذه الليلة سيظن بلا ريب أنها مباراة مهمة لمنتخب مصر بل لعلها المباراة النهائية في كأس العالم. هنــا أعلــن مقــدم البرنامج عن فاصل إعلاني.

الموافقة الأمنية الثانية

وصل "سامح" إلى مبنى أمن الدولة في الساعة الثانية عشرة. دخل الغرفة وأغلق أحد المخبرين عليه الباب وكانت النافذة مغلقة تمامًا كالمرة السابقة. قام وفتح النافذة ثم فتح باب الغرفة المغلقة وأخذ في المشي خارجها فجاءه أحدهم مسرعًا وهو يقول بغضب: أين تظن نفسك.. في عيادة طبيب؟ فنظر إليه "سامح" ولم يعلق ثم رجع إلى الغرفة مرة أخرى وبعد قليل أرسل الباشا في طلبه.

كان كل شيء مختلفًا عن المرة السابقة. المكتب، الديكور، أما الضابط فهو الشيء الوحيد الذي لم يتغير. وكان يعلو رأسه البرواز الذي يحوي الآية الكريمة:

{ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ } القصص.

أخذ ينظر إلى الآية فقال له الضابط: هل يعجبك البرواز؟ قال: لا بل ما بداخله. تحدث معه الضابط في كل ما حدث في أستراليا وأي نشاط مشبوه أو إرهابي قد لفت نظره هناك، وبعدها سأله: ما حكاية جمعية الطيور في القرآن التي تريد تأسيسها؟ رد "سامح" إنما جمعية للبحث في الآيات التي

تتحدث عن الطيور في القرآن والخروج منها بما يفيد البـــشرية. قال الضابط: ولكن أعضاء مجلس الإدارة ليس لوظائفهم علاقة بالطيور. قال "سامح": نعم فهم من مجالات مختلفـــة لتكتمـــل عملية البحث والدراسة فأستاذ التشريح له دوره تماما كأســـتاذ التفسير وأستاذ اللغة العربية... قاطعه الضابط وبـــالطبع أنـــت كعالم في الطيور، ولكن أرجو ألا يكون لكم أي نشاط آخـــر غير معلن. قال "سامح": بالطبع لا، ما قلته فقط.

رد مصطفى

لا أدرى حقيقة ماذا أقول؟ أنا كمسلم أبغـــض أي أمـــر حرام ولكني في نفس الوقت لي أحلامي وطموحاتي لـــذا لا أجد ما أقوله سوى أنه إذا كان كلام فضيلة الـــدكتور فيـــه اختلاف بين العلماء فسأقوم بعمل الشركة، أمـــا إذا كـــان هناك إجماع أو حتى شبه إجماع بين العلماء على ذلك، فلـــن يكون ردى في حينها سوى قول الله تعالى:

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ... ﴿٣٦﴾} الأحزاب.

قام والد مصطفى من على كرسيه فرحًا مهللاً قائلاً: هذا ابني، هذا ابني الذي ربيته الحمد لله والفضل لك وحدك يـــا رب، وشاركت والدته ونجاة فرحة الوالد في حين لم يعجـــب

عمه وزوجته بهذا الرد قائلين: كان الأولى أن يتريث قليلاً فأكيد سيجد من المشايخ من يقول له أنه حلال. أما شوارع الجمالية فانقسمت بين مؤيد ومعارض وتحولت مباراة المنتخب التي يكون فيها المصريون على قلب رجل واحد إلى مباراة بين الأهلي والزمالك والتي تكون فيها قلوبهم شتى. أصحاب البازارات لم يعجبهم رد مصطفى.. كانوا يتمنون تأسيس الشركة عندهم حتى يأتي السياح من كل مكان، أصحاب المقاهي وكل المحلات التي تقوم على السياحة لم يعجبهم الرد كذلك... كلٌ يبكي على ليلاه.

أما باقي الناس فهناك من أيّد مصطفى واعتبره شابًا تقيًا ورعًا يخشى الله وكانت هذه مجموعة مسجد الحسين، الإمام ومقيم الشعائر والمحافظون على الصلاة فيه وهناك من قال إنه لا يفهم في عالم الأعمال شيئًا وكان هؤلاء هم رجال الأعمال الذين يريدون وضع كل شيء في الدنيا في صورة عملية حسابية. ولكن هناك شخص واحد لم تتحدث عنه ولم يتحدث بأي كلمة.. لم ينطق ببنت شفة.. كان هذا هو "علي" صاحب البازار والذي لم يأت مصطفى على ذكر ما فعله معه هو و"كمال". لذا كان لا ينطق بأي كلمة هجوم أو مدح.

اتصالات مختلفة

جاء اتصال من أحد المراكز الحقوقية يهاجم رأي الدكتور بشدة ويدعو مصطفى إلى أن يتم فكرته قائلاً: إلى متى سنظل هكذا متخلفين في كل شيء وحينما نقوم بعمل شيء يلفت أنظار العالم إلينا.. يقولون لنا حرام.. توالت الاتصالات بين مؤيد ومشجع وبين محرم وممانع. اعتذر "أكرم فتحي" عن المكالمات التليفونية الكثيرة، وختمها بمكالمة من الدكتور هيثم إبراهيم إخصائي الجراحة العامة. تفضل يا دكتور دون إطالة من فضلك، فقال: أريد التحدث عن الآية أولا: الباء التي تسبق بدنك ليست باء المصاحبة كما ظنها البعض حينما فسروا البدن بالدرع ولكنها باء التبعيض أي ننجيك ببعض منك يا فرعون. قال أكرم فتحي شكرًا لك دكتور على هذه المداخلة.. رد عليه الدكتور: أريد الحديث عن مشروعية التحنيط في دقيقة واحدة لو سمحت. قال مصطفى: من فضلك يا أستاذ أكرم أريد أن أسمع رأى الدكتور، قال أكرم: تفضل يا دكتور ولكن بسرعة... قال الدكتور يقول الله تعالى ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ بتسكين اللام، وهناك فرق في اللغة بين خلف (بتسكين اللام)، وخلف

(بفتحها) ولكي نعرف هذا الفرق علينا بتدبر هذه الآية قال تعالى:

{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} مريم 59.

فالخلف بفتح اللام هي للوريث الحسن والخلف بتسكينها هي للوريث السيئ كما توضحه الآية السابقة. أي أن الله عز وجل حفظ جسده بهذه الطريقة المهينة ليكون عِبرة لكل ظالم يأتي بعده إلى قيام الساعة ولو أراد الله تعالى تكريمه لحفظ جسده كاملاً كما حفظ أجساد الأنبياء (عليهم السلام) وأجساد الشهداء بدون هذه العملية. وفي النهاية أريد نصح الأستاذ مصطفى بالتخلي عن هذا الأمر، والله تعالى أعلم بمراده.

شكرًا دكتور هيثم على المداخلة ونعتذر للسادة المشاهدين الذين لم يستطيعوا التواصل معنا على وعد بلقاء غدًا مع الدكتور "سامح" المنسي المدرس بكلية علوم المنصورة ومؤسس جمعية الطيور في القرآن.

نستودعكم الله والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

